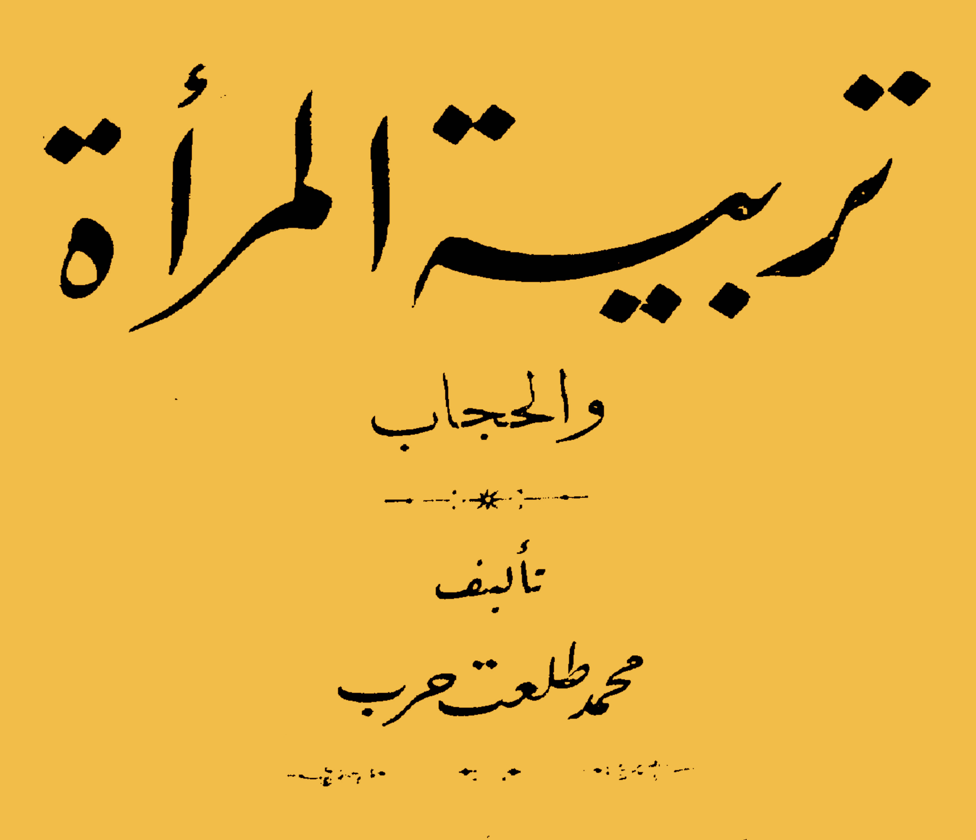


ان لكل دين خلقاً وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل

(فاطمة عليها السلام)

اكفف ابصارهن بالحجاب فشدة الحجاب خير لهن من الارتياب

(علي كرم الله وجهه)

لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

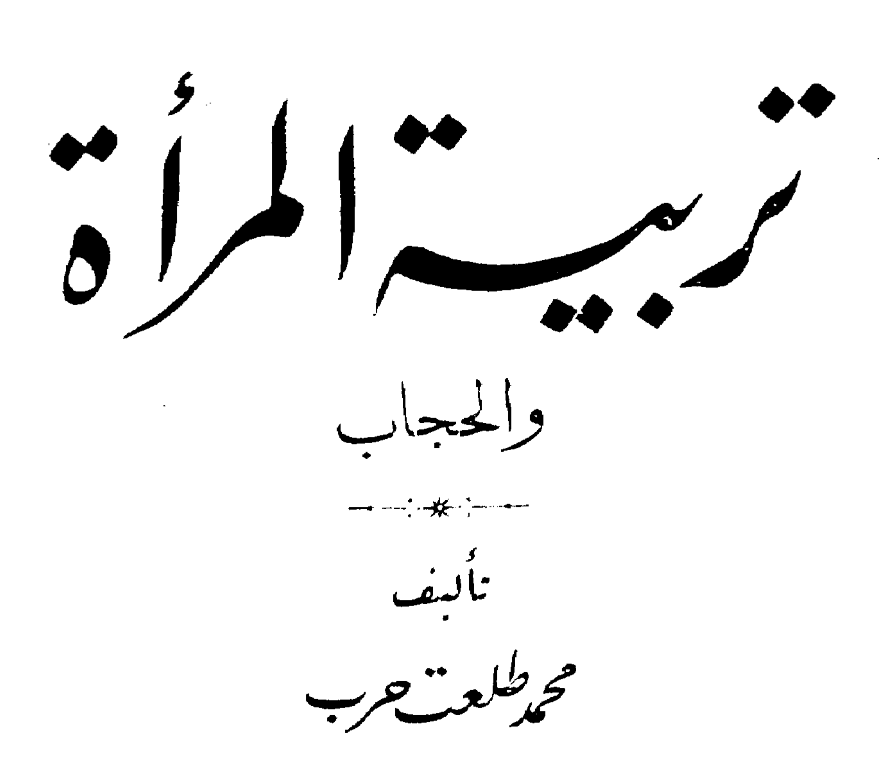
(الحسن رضي الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن وبئر المصائب بابتذالهن .

وقال آخر : لو عهدتم الى تربية النوع الانساني لأصلحت احوال العالم بأسره .

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« ١٣١٧ هـ » مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر « ١٨٩٩ م »



ان لكل دين خلقاً وخلق هذا الدين الحياء

(حديث كريم)

أصلح شيء للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل

(فاطمة عليها السلام)

اكفف ابصارهن بالحجاب ـــ الحجاب خير لهن من الارتياب

(على كرم الله وجهه)

لا تدعوا نساءكم يزاحمن العلوج فى الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار

(الحسن رضى الله عنه)

قال بعض الحكماء : النساء هن معراج الشرف بعفتهن وبئر المصائب بابتذالهن .

وقال آخر : لو عهدتم الى تربية النوع الانسانى لأصلحت احوال العالم بأسره .

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

« ١٣١٧ هـ » مطبعة الترقى بشارع عبد العزيز بمصر « ١٨٩٩ م »



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين واخوانه المرسلين
اما بعد فانه قد كثر فى هذه الايام البحث والكتابة فى حالة المرأة وما يجب عليها ولها وفى طرق تعليمها .

والفضل فى فتح باب هذا البحث لكتاب تحرير المرأة الذى وضعه حضرة الفاضل قاسم بك امين يقول فيه : ان المرأة مساوية للرجل من جميع الوجوه وان الرجل ظالم لها فى حقوقها ويحث فيه على تربية المرأة وتعليمها كما يتعلم الرجل سواء بسواء . ويقول بلزوم رفع الحجاب ووجوب الاختلاط لأن حجاب المرأة وعدم اختلاطها مما يقيد حريتها التى منحها الله اياها ويمنع من قيامها بالعمل المكلفة به فى الهيئة الاجتماعية الى آخر ما يدعو اليه. ولم يكد يظهر هذا الكتاب فى عالم الوجود حتى اشيع فى بعض الجرائد انه تألفت لجنة فى مصر تحت رعاية عظيم بها لتحرير المرأة الشرقية على

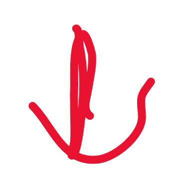
الطريقة التى اشار اليها حضرة المؤلف فى كتابه . واخذ الناس من ذلك الوقت يبحثون فى موضوع الكتاب وما احتوى عليه من افكار واماني. ولقد انقسموا حزبين : حزبا يرى رأى المؤلف وهم قلائل يعدون على الاصابع. والحزب الآخر وهو الاعظم عددا اجمع على استهجان ما ورد بالكتاب ويقول انه يدعو الى بدعة فى الدين لا فى العوائد فقط. وكلا الحزبين مسلّم والحمد لله بان الدين لا يمنع مطلقا من تعليم المرأة وتربيتها وتهذيبها بل هو يحض على ذلك ويأمر به ولكنهما يختلفان فيما ينبغى ان تعلمه المرأة وفى طريقة التعليم والتهذيب

ولما رأينا هذا الجدال والكفاح بين فريقين يعزز كل منهما قوله بالشرع ويقول ان الحق والدين فى جانبه ورأينا انه لم يكد يخلو مجتمع من الكلام فى هذا الموضوع تاقت نفسنا الى البحث والتنقيب والدخول فيه

ونحن نعرض على القراء نتيجة بحثنا فان اخطأنا فلنا من حسن النية ما نرجو معه غفران سيئات خطئنا وان اصبنا المرمى كما نظن فلسنا نسأل على عملنا اجرا فنقول :

اول شئ طرأ على ذهننا حين قرأنا الكتاب ورأينا الناس اخذت تسلق حضرة المؤلف بألسنة حداد ويحملون عليه وعلى كتابه حملات لم نتعودها على مؤلف غيره من قبل ان لا بد فى الامر من شئ مهم حمل الناس على ذلك اذ لا يمكن ان يجتمع كل الناس على ضلالة . ولا يخفى ان ألسنة الخلق اقلام الحق. فاخذنا نسأل ونتساءل ونبحث ونتناظر حتى علمنا ان معظم هياج الرأى العام على حضرة المؤلف ناتج مما هو راسخ فى اذهانهم

من ان رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تمناها اوروبا من قديم الزمان
لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد اوروبا بالعالم الاسلامى
ويقولون ان « للاوروباويين مطامع قديمة ومآرب فى النفس يظهرها
« زيادة التقرب من العالمين الشرقى والغربى حتى ان بعض امراء المسلمين »
« اتخذ هذه المقاصد ذريعة يتقرب بها الى بعض دول اوروبا فى نيل »
« مآربه . ومن ذلك ان اسماعيل باشا خديوى مصر الاسبق لما كانت »



« نفسه تميل الى الاستقلال وتكوين مملكة مستقلة بافريقا يحكمها هو »
« ومن يأتى بعده من اولاده كان عاملا على جذب دول اوروبا اليه »
« لتساعده على تحقيق أمنيته فى مقابلة تحقيقه أمنيتهم بان يدخل العادات »
« الافرنكية بين أمته مما كان يظنه سهل المنال حتى انه كان كثيراً ما يتظاهر »
« ويقول ان مصر قطعة من اوروبا وان اخلاق المصريين وعوائدهم التى »
« ورثوها ستصبح بمساعيه بعد قليل مماثلة لعوائد اوروبا واخلاقها ليكون »
« له من ذلك وسيلة يتقرب بها اليهم لما رآه وعلمه من مخالطة امرائهم »
« وعلمائهم وارباب الافكار والسياسة منهم الذين يعلمون حق العلم انه لم »
« يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الاسلامى ـ فى المشرق لا فى مصر »
« وحدها ـ الا ان يطرأ على المرأة المسلمة التحويل بل الفساد الذى عم »
« الرجال فى المشرق . وكل من ادرك اسماعيل باشا يعلم ما كان قد اشيع »
« فى ذلك الوقت من انه كان يريد ان تخرج النساء مكشوفات الوجوه »
« فى الطرقات كالفرنجيات وعمت الاشاعة ارجاء القطر باجمعه »
« وتحدث الناس بها فى كل ناد . وقالوا ايضا انه لاجل تنفيذ هذا الفكر »

« امر بان تخرج تلميذات مدرسة السيوفية مكشوفات الوجوه . وقد »
« رآهن الناس وهن على ذلك وعلى رؤوسهن البرانيط فى عربات كثيرة »
« يتفسحن فى ارجاء المدينة وبينهن من لها من العمر ستة عشرة سنة »
« وزيادة . وقد علم الناس ثمرة هذا الغراس فقد خرجن اكثرهن على علة »
« البغاء . ولم يقتصر العلم بهذا العزم على مصر فقط بل تعداها الى غيرها من »
« الامصار حتى ان احد امراء المسلمين اذ ذاك كتب اليه كتابا مطولا »
« ينهاه فيه ويلومه على ما يتظاهر به من حب الانفصال عن الدولة وما يريد »
« ادخاله من عادات الافرنج بين قومه . ومما جاء فى الكتاب المذكور »
« مختصا بهذا الموضوع قوله بعد العنوان وحمد الله والصلاة على انبيائه [١] »
« بلغنا ورأينا من مقتضيات الاحوال ما يصدق الخبر انكم كاتبتم »
« ملوك اوروبا وتوجهتم بانفسكم اليهم تطلبون منهم الاعانة على الاستقلال »
« بملك مصر والاستبداد بالسلطنة ليقال لكم ملك مصر او فرعون مصر »
« ولم يقنعكم لقب الخديوى الذى شرفكم به سلطاننا فى هذه المدة الاخيرة »
« وذكرتم للمشار اليهم انكم تضمنون لهم ان وقعت منهم الاعانة التى »
« تطلبونها تبديل احكام القرآن وفصل السياسة عن الدين بالمرة وتبيحون »
« لنساء الامة الجديدة التى تكونونها ما تبيحه العادات الافرنجية وقوانينها »
« من الحضور فى مجامع الرجال ومواكبهم وغير ذلك ولا تظلمونهن بمثل »
« ما ظلمتهن الشريعة الاسلامية على مدعاكم . وقلتم فيما ذكرتم لأولئك »
« الملوك ان السلطان العثمانى لا يتيسر له ما يتيسر لكم من امثال هاته »

---

[١] اطلعت على هذا الكتاب عند بعض اعاظم مصر ولديه ما يثبت صحته .

« الامور التى هى خلاصة التمدن الانسانى فى نظركم لكونه ملقبا بلقب »
« خليفة الرسول الى آخر ما ذكرتم . . . » اهـ.

« وان ارادة الوصول الى تغيير حالة المرأة المسلمة شئ كامن فى نفوس »
« الفرنج لذلك كانوا يطالعون به كل من حادثهم من ادباء الشرق وعلمائه حتى »
« انك ترى الواحد منهم متى ناظرته مشفقا على المرأة المسلمة اشفاقا »
« غريبا ويرثى لحالها ويصدر منه من الاقوال ما يدل على جهله بحالة »
« المرأة وحقوقها فى الاسلام جهلا تاما. مع ان الكثير من فضلاء الشرق »
« مؤلفات ومقالات فى حالة المرأة المسلمة وما لها من الحقوق بحسب »
« الشريعة الغراء قد ترجمت الى بعض لغات اوروبا واطلع عليها الكثير »
« من علمائها ومع ذلك تراهم مصرين على رأيهم من تعاسة حالة المرأة »
« المسلمة كأن المرأة المسلمة وكلتهم عنها فى المدافعة عن حقوقها او كأنهم »
« لما رأوا تعاسة حالة المرأة عندهم وابتذالها وصلت اليه بفضل الحرية »
« الزائدة الواسعة ارادوا ان تكون حالة التعاسة عامة كل نساء الدنيا فهم »
« دائبون عاملون على التنفير من حالة المرأة المسلمة وما هى عليه من »
« الشقاء لتقوى كلمتهم فيتداخلون يوما ما بالقوة باسم المروءة ليحملوا دول »
« الاسلام على تغيير حالة المرأة فيتم لهم الغرض الخفى الكامن فى نفوسهم »
« كما تداخلوا من قبل باسم الانسانية والعهد ليس ببعيد فى مسألة الرقيق »

« وان كل من نظر الى اقوال الفرنج ومن ينسجون على منوالهم رآها »
« مزخرفة الظاهر جميلة الحواشى والاركان لماعة براقة تكاد تأخذ »
« بالالباب: ولكن وا اسفاه حشوها السم الناقع . ولا نلام على قولنا هذا »

« لانا طالما سالمنا الافرنج وظننا ان كل ما يصدر منهم حق وكل افعالهم »
« منزهة عن العبث فلما استسلمنا اليهم بهذه الطريقة وقعنا فيما نخافه »
« فانطمست معالمنا ودرست آثارنا وغطى الجهل بصائرنا وابصارنا فاصبحنا »
« على حالة يرثى لها العدو قبل الصديق بعد مجد باذخ وعز سابق وعلم قديم. »
« ولو قيل لنا هذا القول فى اول تعارفنا بالفرنج لكنا اخذناه كما هو »
« وعملنا به ولربما اصبحت حالة المرأة عندنا كحالة الرجل على ماينبغيه الفرنج. »
« ولكن يسر الله واصبحت لنا خبرة بمآرب الافرنج نحو الشرق فلا »
« نسمع منهم قولا الا بعد ان نطيل النظر والتنقيب فيه [١] »

هذا هو مجمل قولهم وداعية سخطهم وانى أجل حضرة الفاضل قاسم

[١] جاء فى جريدة المقطم الغراء فى عددها الصادر يوم ١٣ سبتمبر سنة ٩٩ ضمن مقالة فى محلياتها عنوانها « اتدري ما هى فاعلة » ما يعذر هؤلاء المعارضين فى اعتقادهم حيث قالت :

وبديهى ان الامة التي تنفع العالم بقدوتها الحسنة تضرهم بقدوتها السيئة . ولعلّ اهل الشرق الادنى اعظم الامم اقتداء بالفرنسويين واقتباسا لافعالهم وعاداتهم واصطلاحاتهم حتى انك لترى شبانهم فى اكثر المدن لا يقلون شغفا وتعلقا بالفرنسوية وتحيزا وتحزبا لها من الفرنسويين انفسهم . فيخاف الشرقى الضرر من عاقبة خطأ الفرنسوي وضلاله قدر ما يرجى النفع من عاقبة افعاله الحسنة ومبادئه القويمة . ولو بحثنا لوجدنا ان اضرارا كثيرة سرت الينا من اختلال المبادئ القويمة فى فرنسا مع النفع الذي جنيناه من التشبه بها فى مبادئها السامية وافعالها العظيمة . فانحلال عرى العفاف فى عاصمة فرنسا واستخفاف اهل باريس بهذا المبدأ الادبى واطلاقهم السراح لشهواتهم أثر تأثيره من الضرر فى هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية على وجهين : الواحد اقتداء الذين ربوا فى باريس او زاروها باهل باريس من هذا القبيل فصارت العفة عندهم امرا حقيرا لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبه قدرا .

بك امين عن ان يكون له غاية من وضع كتابه خلاف حب الخير والارتقاء لأمته كما هو ظاهر من كلامه على تربية المرأة فانه وصف حالتها اليوم احسن وصف وقال بوجوب تربيتها تربية تهذب اخلاقها وتقوم نفسها فلحضرته مزيد الشكر على ذلك وسيرانا فى هذا الكتاب داعين الى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته على دعوتنا تخرق تلك الاذن الصماء فيهتم القوم بأمر هذه التربية وننال ضالتنا التى ننشدها وهى تحسين حالنا وما ذلك على الله بعزيز . واننا مع موافقتنا لحضرته على هذا المبدأ نخالفه فى غيره فنستمنحه العفو عما يجده خلال بحثنا من المخالفة والمباينة فى الرأى والفكر لحضرته حر ولا نخاله الا ان يحب كل حر الفكر

ومما اتخذه خصومه حجة على ممالأته الفرنج ومجاراته لهم على افكارهم انه قد سافر بعض الفضلاء من الاتراك الى اوروبا بقصد السياحة من بضع سنين فلما كان فى بلاد الانكليز وتعرف ببعض ادبائهم هناك جرهم الكلام الى موضوع حالة المرأة المسلمة وهو الموضوع الذى قل ان يخلو منه مجلس فيه شرقى ووجهوا اليه اقوالا واعتراضات وانتقادات هى نفس الاعتراضات التى بنى عليها حضرة مؤلف كتاب *تحرير المرأة* كتابه ويقولون: « انه ليس بعجيب فى الامر ان الاعتراضات التى وجهت الى »

والوجه الآخر توهم كثيرين من الشرقيين ان التمدن الحالى ينتج فى كل مكان ماانتج فى عاصمة الفرنسويين من الفجور وترك العفاف فنفروا منه وممن يستحسنه وكرهوا تعليم بناتهم وتغيير طرق المعيشة مع نسائهم وعائلتهم وقاموا يعنفون النابغين من ابناء هذا القطر كأنهم ارتكبوا وزرا حيث طلبوا للمرأة التحرير يعنون بذلك ان تغيير معيشتها العائلية والاجتماعية بعض التغيير اه

« الفاضل التركى هى التى يوجهها كل الفرنج الى الشرقيين . بل العجيب »
« ان هذه الاعتراضات هى بعينها التى جاءت فى كتاب حضرة قاسم »
« بك امين ولكنها بعبارة اوسع مع ان ذلك الفاضل التركى كان باوروبا »
« قبل ان يظهر كتاب تحرير المرأة بعدة سنوات . وقد طبعت هذه »
« الاعتراضات ضمن رسالة باللغة التركية سنة ١٨٩٣ افرنكية »
« بالمطبعة الجامعة بمصر باسم الرحلة الاصمعية. فهل هذا ايضا من باب »
« وقوع الحافر على الحافر او من توافق الخواطر كما كان الامر فى ظهور »
« كتاب تحرير المرأة فى الوقت الذى ظهرت فيه مقالة انكليزية قيل انها »
« لاحد علماء الهند المسمى القاضى امير على وترجمت الى العربية من »
« جريدة انكليزية فى مجلة المقتطف يدعو فيها صاحبها الى مثل ما يدعو اليه »
« صاحب كتاب تحرير المرأة ؟ » — ذلك امر لا نتعرض له بنفى ولا اثبات بل نكل فيه الحكم للقراء — انما نقول ان اعتراضات الفرنج على حالة المرأة المسلمة وما هى عليه من التحجب لا بد ان تكون قد وجهت لحضرة الفاضل قاسم بك امين حينما كان يتعلم باوروبا ولكن يظهر ان حضرته لم يحفل بها ولم تؤثر عليه ادنى تأثير. يدل على ذلك اقواله ومدافعاته عن حالة آداب المرأة المسلمة واحتجابها فى مؤلفه النفيس الذى رد به على كتاب الدوك داركور. ولكن لا ندرى اى الاسباب أثر عليه بعد ذلك فحوله عن فكره الاول الى فكر يخالفه بالمرة فى كتاب تحرير المرأة .

ولنكتف الآن بما اوردناه ولنبحث فى المرأة ووظيفتها فى العالم وفى حقيقة التربية الصحيحة والتعليم الحق اللازمين للبنين والبنات ليصلحوا ان

يكونوا يوما ما ازواجا فآباء وامهات وفيما يجب ان تتخلق به النساء ليقمن بوظيفتهن فى البيوت احسن قيام. ثم نتبع ذلك بالكلام على الحجاب أهو شرعى يأمر به الدين ويقضى به العقل أم هو بدعة وعادة سيئة ضرت ضرراً بليغا بدون ان تنفع ؟ ويتخلل هذه الفصول بيان ما نحن عليه الآن من الادب والتهذيب والتعليم وبيان درجة النقص فيها وطرق اصلاحها بما لايخل بعوائدنا المستحسنة ومبادى ديننا القويم .

وانا نقول هنا ماقاله حضرة الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله فى رسالته باكورة الكلام على حقوق النساء فى الاسلام: «لايحسبن قراء هذا الكتاب انا نريد المنع من تقليد الاجانب فيما يعود علينا بالمنفعة . كلا. فان ذلك لاتمنعه الشريعة المطهرة . كيف وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لما اخبره سلمان الفارسى بانه من اعمال الكسروين فى حروبهم وشواهد ذلك كثيرة لانطيل بذكرها »

ونحن عملا بما تأمرنا به شريعتنا المطهرة وتقليداً للأمم الحية فى الحث على تهذيب البنين والبنات وتربية نفوسهم نحض على هذه التربية الصحيحة وندعو اليها جهدنا لعلنا نوفق الى الوصول الى هذه الغاية الشريفة

ولكى يطابق الاسم مسماه سمينا الكتاب« تربية المرأة والحجاب » وهو اسم كنا تمنى ان يجعله حضرة قاسم بك امين عنوانا لكتابه فانه اولى وأليق به من اسم «تحرير المرأة» حيث ان المرأة المسلمة بشهادة حضرته قد خولت لها الشريعة السمحاء من نحو ثلاثة عشر قرنا حقوقا وامتيازات لم تحصل زميلاتها الفرنجيات على جزء يسير منها الا من عهد غير بعيد

وهي الآن قد زادت حريتها عن الحد الشرعي . والله تعالى نسأل ان يهدينا سواء السبيل فيما نقول

هذا وإنا نرجو المعذرة اذا هفا اليراع هفوة فالغرض مما نقدمه الجوهر لاالعرض وجل غرضنا المشاركة في البحث توصلا للحقيقة التي هي ضالتنا جميعا فما تزاحمت الظنون على شيء الا انكشف. وعلى الله الاتكال في كل الأمور ومنه يرجى خير المآل .

الباب الاول

المرأة أقل من الرجل ادراكاً وحساً — وظيفتها — اقرار بعض علماء الفرنج والسيدات انفسهن بان المرأة لا يلزم ان تتعدى وظيفتها — هل للمرأة ان تشتغل بأشغال الرجال ؟ — ما هي نتائج تحرير المرأة في اوروبا

﴿ في المرأة ووظيفتها في المجتمع الانساني ﴾

المرأة أقل من الرجل ادراكا وحسا — اجمعت كل الشرائع المنزلة على ما سلم به الطبع والعقل من ان المرأة اضعف من الرجل وأقل منه في سائر الحيثيات جسما وادراكا وعلى ان الرجال قوامون على النساء دون العكس . لهم عليهن السيادة ولهن منهم حسن المعاملة والرفق والمحبة والاحترام حيث ان الرجل لا يمكنه ان يعيش بدون المرأة ولا المرأة بدون الرجل لانه يترتب على تآلفهما عمران الكون وتحسين النوع الانساني وتكثيره وسعادة العالم المؤلف من عائلات وافراد بسعادتهم يسعد وبشقائهم يشقى .

فقد جاء فى التوراة فى سفر التكوين بالاصحاح الثالث عدد ١٦ أن الله تعالى قال للمرأة : « تكثيراً أكثر اتعاب حبلك . بالوجع تلدين اولادا . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » . وجاء فيه ايضاً أنه تعالى قال للرجل معلقاً به الكد والشقاء : « بعرق جبينك تأكل خبزك »

وجاء فى اعمال الرسل : ١ كورنتوس ص ١١ من ع ٢

« ولكن اريد ان تعلموا ان رأس كل رجل هو المسيح . واما »
« رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله »

« . . . . »

« فان الرجل لا ينبغى ان يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده . »
« واما المرأة فهى مجد الرجل . لان الرجل ليس من المرأة بل المرأة من »
« الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من اجل المرأة بل المرأة من اجل الرجل »
« لهذا ينبغى ان يكون لها سلطان على رأسها من اجل الملائكة . غير ان »
« الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب. لانه »
« كما ان المرأة هى من الرجل هكذا الرجل ايضاً هو بالمرأة »

وقد قررت الديانة المسيحية ذلك التعليم الالهى وامرت المرأة ان تخضع لرجلها وامرت الرجل ان يتعطف على امرأته وان يخلص لها الحب

اما الشواهد من القرآن ومن السنة على كل ما تقدم فكثيرة جدا يعلمها حق العلم كل من اطلع عليها وكلها تثبت خضوع المرأة لسلطان الرجل وهو نظام اقتضته حكمته سبحانه وتعالى .

وحسبنا اثباتاً لما نقول قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » وقوله تعالى : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » وقوله تعالى: « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « لوكنت آمراً احداً ان يسجد لاحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها » وقوله عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة واليتيم » وقوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لنسآئه وبناته . واكمل المؤمنين احسنهم خلقاً مع زوجته . وكلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته واهله وولده وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة عنه » وقوله صلوات الله عليه : « استوصوا بالنساء خيرا فانما هن عندكم وديعة لا يملكن لانفسهن ضرا ولا نفعاً وانما هن كأسرى بين ايديكم وانما اخذتموهن بامانة الله واستحللتموهن بكلمات الله فعاشروهن بالمعروف ولا تظلموهن وقوموا بحقهن . . . الخ . . . »

والشواهد الحسية والعقلية على ضعف المرأة كثيرة جدا كلها مؤيدة لما سبق نورد منها ما ذكره حضرة فريد افندى وجدى ضمن مقالة عنوانها « نظرة فى تحرير المرأة » نشرت فى جريدة المؤيد الغراء بعدديها الصادرين فى ٣٠ سبتمبر واول اكتوبر سنة ١٨٩٩ . قال : « هل المرأة « مساوية للرجل فى سائر الحيثيات ؟ فالجواب لا . »

« وهل لدينا دليل حسى على هذا الجواب السلبى اصدق من وجود »

« المرأة من ابتداء الخليقة للآن تحت سيطرة الرجل يوجهها كيف يشاء »
« ويحكم عليها بما تقتضى امياله ؟؟ »

« اذا كانت المرأة مساوية للرجل من الجهتين الجسمية والعقلية فلماذا »
« رضخت كل هذه الالوف المؤلفة من الاعوام لسلطان الرجل وجبروته؟ »

« لا شك انا اذا لاحظنا ناموس الغلبة والقهر الذى مؤداه ان »
« القوى يغلب الضعيف ويأسره علمنا جيدا ان المرأة لا تساوى الرجل »
« فى جميع المواهب الطبيعية اذ لوساوته فيها لحدثنا التاريخ باخبار التدافع »
« بين هذين الجنسين شأن كل عاملين متساويي القوة فى هذا الوجود . »
« ولكن الامر بالعكس فان المرأة ظلت راضخة لنير الرجل ولم تنل »
« ما نالته من حريتها فى اوروبا الا بسعى الرجل نفسه ورضاه بتخفيف »
« الوطأة عنها كما هو شأن القوى اذا اراد ان يخفف عن الضعيف »
« المقهور له شيئا من اثقاله »

« اذا سلمنا بهذا ولامناص من التسليم به لانه عين الواقع وجب »
« علينا أن نبحث لنتبين كنه التفاضل بين الرجل والمرأة لندرك سر »
« انغلابها له ورضاها بسيطرته كل تلك المدة المستطيلة فنقول : »

« هل الرجل أقوى من المرأة جسماً ؟؟ الجواب نعم »

« وهذه حقيقة لامرية فيها ألبتة . ولو سلمنا جدلا أن ضعفها »
« ناشئ من استكانتها للرجل الذى كثيرا ما حملها ويحملها أحكام عوائده »
« وتقاليده المضرة بصحتها فان أقل نظرة لحالتها الطبيعية من حيث »
« لوازم الانوثة وعوارضها ومن حيث الحمل والوضع والارضاع »

« واستغراق عواطفها فى الهيمنة على اطفالها وهى الأمور التى »
« يخلو منها الرجل بالمرة — قلنا أقل نظرة فى حالتها هذه التى يعدها »
« الفسيولوچيون أمراضا — تكفى لان نحكم بانها اقل من الرجل قوة »
« ونشاطا »

« على أنا لا نسلم مطلقا كما قلنا بان المرأة لو القى حبلها على غاربها »
« وتحررت من كل قيد يمكنها أن تلحق شأو الرجل قوة وشدة . والا »
« فهذه أناثى الحيوانات كلها تدلنا حالتها الحيوية دلالة صريحة على ان »
« الخالق جل شأنه خلق الاناث أضعف من الذكور فى كل الانواع الحية »
« لحكمة بالغة ومقصد عظيم . لكن اثباتنا بان الرجل أقوى من المرأة »
« جسما لا يفسر لنا خضوعها له فى سائر أدوارها فان القوة العضلية »
« بمفردها لا تكفى للسيطرة والغلبة فى العالم الانسانى والا لتغلبت »
« الوحوش على نوعنا الضعيف وأجلته عن الوجود من زمان مديد . »
« فان كثيرا من أنواعها أشد منه قوة وأقوى عضلا . ومع ذلك هو »
« تغلب عليها وقهرها بقوة فكره وسعة ادراكه . اذن وجب علينا ان »
« ننظر فى هذه النقطة الى وجهة أخرى فنقول : »

« هل المرأة أضعف من الرجل ادراكا ؟ »

« نقول نعم . واحوال الشعوب الحاضرة والغابرة تؤيد هذا القول »
« بالشواهد العيانية فان كل الاعمال الاختراعية والاكتشافات العلمية »
« التى بنيت عليها سعادة الانسانية صدرت من الرجل دون غيره اللهم »
« الا بعض امور صغيرة تمت على يد المرأة فى العصور المتأخرة ولكنها »

« غير ذات اهمية ولو جمع الملايين منها لما وازت فوائدها ما احدثته »
« الآلة البخارية من التأثير العظيم فى احوال المدنية »

« يقول قائل نسلم لك ذلك لانه عين الواقع ولكن لاتنس انه »
« نتيجة ظلمها وحرمانها من تغذية قوتها الادراكية بالعلوم والمعارف »
« التى تهيئ الانسان للاشراف على دقائق الامور واستدرار منافعها . »
« فنجيبه بأن حالة المرأة نفسها تعارض هذا القول على خط مستقيم . »
« فانا نعلم ان نمو المدركة الانسانية كما يتوقف على الدراسة لمبادئ العلوم »
« الاساسية كذلك يستلزم العمل بها واجهاد النفس فى تنميتها واستزادة »
« مادتها وهو الامر الذي لايتأتى الا بالانقطاع لها او على الاقل »
« بالتعرض لمناشئها . وبالتأمل فى حالة الرجل والمرأة من هذه الحيثية »
« نجد ان الاول بحكم الطبيعة متعرض لنفحاتها فى كل ادوار حياته فهو »
« من المدرسة الى مكابدة العمل ثم الى التعامل بين الناس سواء بالزراعة »
« او الصناعة والتجارة وكلها مناشئ لتربية المدارك وتوسيع نطاق »
« الملكات . بخلاف المرأة فان الوظيفة التى نيطت بها من الحمل الى »
« الوضع الى الارضاع الى التربية مع تدبير البيت تجبرها ان تصرف معظم »
« حياتها فى الابتعاد عن مصادر التغذية الفكرية . وبناء على هذا »
« يستحيل عليها ان تبلغ شأو الرجل فى سعة الادراك حتى ولو سلمنا »
« (ولو ان ذلك مناف لابحاث الفسيولوجيين) ان استعدادا الجنسين »
« لقبول المعلومات بدرجة واحدة . ولا يغرنا ما نسمعه عن بعض »
« النابغات بأوروبا وامريكا فى العلوم الطبيعية والفلكية فانهن فضلاعن »

« كونهن لم يبغلن شأو الرجال فيها على الاطلاق جانيات على هيأتهن »
« الاجتماعية بعدم ارادتهن الزواج الا بعد ان يشارفن سن الهرم تقريبا. »
« وبذلك فهن باشتغالهن بما لا ينفع وطنهن بشئ يذكر يحرمنه مما »
« يطالبهن به من الذرية الصالحة فان الواحدة منهن لو تركت أشغالها »
« الفلكية مثلا العديمة الجدوى ورضخت لحكم طبيعتها فتزوجت وهى »
« شابة لاستطاعت ان تهدى الجمعية بخمسة علماء من ذريتها يستطيع »
« الواحد منهم ان يؤدى اضعاف اعمالها مما يكون له أثر يشكر . نعم ان »
« عالمات العالم المتمدن يعددن جانيات فى نظر علماء العمران لا بتعادهن »
« عن الوظيفة الحيوية التى خلقهن لها الخالق عز وجل فقد ثبت بالاحصاء »
« ان المرأة العالمة لا تتزوج قبل ان يبلغ سنها الخامسة والاربعين كما »
« روته مجلة المجلات الفرنساوية . فقل لى بابيك ماذا ينتظر منها من »
« النسل بعد هذا السن وهل يستفيد الوطن من ابحاثها فى علم الطبيعة »
« او السياسة او التشريع مثلا بقدر ما يخسره من حرمانها اياه من »
« ذريتها التى ربما نبغ فيها فيلسوف مثل چول سيمون او طبيعى مثل »
« هكسلى او عمر انى مثل سبنسر ممن يفيدون الانسانية فوائد حقيقية ؟ »
« هذه الحالة يشكو منها الغربيون انفسهم ويعدونها تداخلا من المرأة »
« فى غير شأنها واشتغالا بغير ما هو مطلوب منها مما يبعد بها عن لوازم »
« جنسها وقد لاحظ ذلك الفيلسوف چول سيمون فقال ما معناه :
« انى لا اسر اذا كانت امرأتى دكتورة فانى اود ان تكون المرأة مرأة »
« وماذلك الا لعلمه انها بدكتوريتها فى التشريع مثلا لا تستطيع ان تجمع »

« بين دقائق القوانين ودقائق علم التربية الذى يطلب منها ويعتمد فيه عليها »

« نتيجة ما تقدم — يظهر لنا من كل ما تقدم وليس بعد الحس دليل »

« ان المرأة أضعف من الرجل جسما وادراكا. اما جسما فلكونها معرضة »

« للوازم الانوثة وهى كما أثبتنا أمراض تهد القوى وتضعف البنية بشهادة »

« الأطباء. وأما ادراكا فلكونها بحكم وظيفتها من تدبير المنزل وتربية اعقالها »

« والتحفظ عليهم غير معرضة مثل الرجل لمناشئ تنمية القوة الادراكية فتكون »

« النتيجة اللازمة لكل هذه المقدمات ان المرأة لا تساوى الرجل فى كل حيثية »

« انسانية. وبناء على هذا ومع ملاحظة ناموس التغلب يجب ان يكون الرجل »

« صاحب السيطرة المطلقة عليها اذ لا سبيل لمعارضة احكام الطبيعة بالأقاويل. »

« ولكن ذلك كله لا يمنع من مطالبة الرجل بالاعتدال فى تلك السيطرة »

« واعطاء المرأة حقوقها فى حدودها المعتدلة الحقة لا فى القاء حبلها على غاربها »

« وتركها وشأنها تحت مؤثرات الحياة المدنية التى كثيراً ما فتنت العباد »

« والزهاد فضلا عن ربات القلائد والنضاد اهـ. »

وظيفة المرأة — ظهر من ذلك ان للمرأة اعمالا غير ما للرجل ليست بالاقل اهمية من اعماله ولا بالادنى منها فائدة وهى تستغرق معظم زمن المرأة ان لم نقل كله: الرجل يسعى ويشقى ويكد ويتعب ويشتغل ليحصل على رزقه ورزق عياله. وامرأته ترتب له بيته وتنظف له فرشه وتجهز له اكله وتربى له اولاده وتلاحظ له خدمه وتحفظ عينه عن المحارم. وهو يسكن اليها الخ... قال بعضهم: « وقع خالد بن يزيد بن معاوية يوما فى عبد الله بن الزبير يصفه بالبخل وزوجته رملة بنت الزبير اخت عبد الله

حاضرة فاطرقت ولم تتكلم بكلمة مع زوجها فقال لها خالد مالك لا تتكلمين؟ أرضاً بما قلته ام تنزها عن جوابي؟ فقالت لا هذا ولا ذاك ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال وانما نحن رياحين للشم والضم فما لنا والدخول بينكم .....»

وروى عن اسماء بنت يزيد الانصاري رضى الله عنها انها اتت للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بين اصحابه فقالت : «يا رسول الله انى وافدة النساء اليك . ان الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وانا معاشر النساء محصورات قواعد فى بيوتكم مقضى شهواتكم وحاملات اولادكم وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وافضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله تعالى وان الرجل منكم اذا خرج حاجا او معتمرا او مرابطا حفظنا لكم اموالكم وغسلنا لكم اثوابكم وربينا لكم اولادكم أفما نشارككم فى الاجر يا رسول الله؟» فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى اصحابه بوجهه الكريم ثم قال : هل سمعتم مقالة امرأة احسن من هذه عن امر دينها؟ فقالوا يا رسول الله ما ظننا امرأة تهدى الى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم اليها ثم قال : انصرفى ايتها المرأة وأعلمى من خلفك ان كل شئ حسن تفعله احداكن لزوجها طلبا لمرضاته وابتغائها موافقته يعدل ذلك كله . فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبر استبشارا

وقيل ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع الرجل امرأة عمر رضى الله عنه

وهى تغلظ عليه بالقول وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل وهو يقول اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى: فلما خرج عمر رأى الرجل موليا فناداه ماحاجتك: فقال له سبب مجيئه وما سمع. فقال عمر: « يا أخى انى أحملها لحقوق لها علىّ: انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى ويسكن قلبي بها عن الحرام. » فقال له الرجل: « يا أمير المؤمنين وانا أحمل زوجتى. »

أليس معنى ذلك أن الله خلق المرأة للرجل للملاذ الدنيوية وحفظ الشؤون المنزلية وأنه لم يخلق النساء لمغالبة الرجال ولا للآراء والسياسات ولو شاء لاعطاهن الشجاعة والبسالة والفتوة والشهامة مع ان الامر بخلاف ذلك. ولو ارادت المرأة ان تسلك مسالك الرجال وتعود على تحمل ثقيل الاعمال لتساوى الرجل فى جميع احواله وتضاهيه فى اقواله وافعاله أفلا يكون ذلك منها خروجا عن الوظيفة التى خصصها بها الله سبحانه وتعالى: لانه كما ان نظام الكون وسعادته قضيا بان يخلق الناس اطوارا وبان اعمال الرجال يجب ان تكون مقسمة بينهم وبان يكون لكل منهم وظيفة مخصوصة ينقطع لها فيتقنها فطائفة للسيادة وطائفة للسياسة وطائفة للعلم واخرى للبأس والنجدة كذلك اراد الله ان يكون لكل من صنفى بنى الانسان (المرأة والرجل) عمل مخصوص لا يتعداه والا حصل الخلط والتشويش. وبمجموع عمليهما تتم السعادة لكليهما.

ولا يظن ظان أن هذا التقسيم فى الاعمال تحكم من الرجال وان المرأة قابلة للقيام بكل عمل منزلى أو غير منزلى لا فرق بينها وبين الرجل

لانا اذا قطعنا النظر عن الانسان ورجعنا الى انواع الحيوانات الاخرى التى لاتصنع عندها ولا تحكم لوجدنا أن الذكور منها اقوى بطشا واشد بأسا واقدر على العمل واصبر على المشاق . وتأمل الى الطيور التى تطير جماعات وتسبح فى البحار زرافات تجدها تسير تحت قيادة الذكور وتنام تحت حراستها وتنضوى تحت حمايتها وتجد الفرق بين الصنفين ظاهرا فى الرواء والحسن والبنية والقوة . واذا امعنت النظر فى الحيوانات تجدها إما بيوضا وإما ولودا فالبيوض منها تقضى المدد الطوال فى تحمل البيضة ثم وضعها فى وكنة أو عش ثم احتضانها حتى تفرخ ثم تعهد فرخها الصغير وجلب الاقوات له حتى يقوى على الطيران والتحصيل . والولود منها تقضى زمنا اطول من ذلك فى الحمل والفصال والرضاع والتعهد والمدافعة بحيث يشغلها ذلك عن كل شاغل .

ثم ارجع الى الانسان تجد هذا الفرق بذاته وتحكم ان المرأة كغيرها من إناث الحيوان تحتاج لان تقضى مدة من الزمان فى الحمل والوحم والولادة والرضاع وتعهد الطفل حتى يترعرع وينمو ثم بعد ذلك لا تخرج من العهدة بل تشارك زوجها فى تربيته وتعويده على العوائد والاعمال المطلوبة .

وهى فى كل ذلك لا ينبغى أن تكون مشغولة بغير ذلك من الاعمال الخارجية كالوظائف والصنائع الشاقة والزراعة والجندية لان اعمالها السالفة الذكر تحتاج الى السكون والاطمئنان وراحة الفكر . فقد ظهر لك ان الطبيعة التى فطر الله الناس عليها جعلت المرأة فى حيز مخصوص وحددت

لها اعمالا لا يمكن أن تكون للذكر فاذا حاول محاول تسوية المرأة بالرجل من كل الوجوه يكون قد حاول خرق سياج الطبيعة وتبديل السنة الفطرية : ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولقد حصلت فى احد المجامع مناقشة بين عدة من فتيان وفتيات فاخذت فتاة تخطب فى ان الرجال هاضمون حقوق النساء ولماذا لاتدخل المرأة فى الوظائف العامة؟ ولم لا يكون من النساء وزيرات ومديرات وقاضيات ونائبات ؟ ولم لا يشتغل الرجال ببعض الامور المنزلية ؟ فقال لها فتى من الحاضرين نحن مستعدون لتسليمكن كل هذه الوظائف ولكن على شرط أن تقمن باعمال الجنود من حفر خنادق وبناء استحكامات ومكافحة وقت اشتعال نار الوغى واستخراج فحم ومعادن من المناجم ومباشرة حرث وزراعة فى الغيطان وبناء جسور على الانهر وحفر ترع وغدران . فقالت الفتاة: فى الامكان ان نقوم بهذه الاعمال اذا لم نتزوج ونحمل ونلد. فقال: اذا كان غرضكن أخذ هذه الوظائف مدة ثم قيام الساعة بعدها فانتظرن آخر الزمن!!. ولقد ايدت لنا ذلك المشاهدات الحسية فقد قرأنا فى مجلة انيس الجليس الصادرة فى ٣٠ سبتمبر سنة ٩٩ ان عدد النساء المشتغلات فى الولايات المتحدة بالفنون الجميلة والآداب قد زاد من سنة ٧٠ الى العام الماضى زيادة فاحشة وأردفت ذلك بقولها : « ولكن يظهر أنه كلما أمعنت المرأة فى التوسع بالفنون والعلوم زاد الرجل فى طلاقها وكان اكثر ذلك فى الولايات المتحدة فان الطلاق يمتد فيها الى حد غريب غير موجود فى هذه البلاد الاسلامية وسواها . »

هذا وانه قد ثبت لعلماء العمران ان توزيع الاعمال اقوى معارج التقدم والمدنية فاذا اشتغل النساء باعمال والرجال باعمال كان من وراء ذلك التقدم والنجاح . وناهيك بالفساد الذى نراه من الرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللاتى يشتبهن بالرجال. ولقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الاثنين وروى عن عمار بن ياسر عن النبي عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . » وفسر المترجلة بالتى تتشبه بالرجال .

وقد قضت الشريعة الاسلامية الغراء وقوانين غالب الممالك بقصر السلطنة والقضاء والامامة على الرجال دون النساء . وليس عدم استخلاف النساء وتقليدهن هذه المناصب لعدم وجود من يصلح لذلك فقد قال عروة بن الزبير لذكوان: « لو طابت امرة لامرأة بعد النبوة لاستحقت عائشة الخلافة » اذاً لماذا ذلك وكلنا نسلم ان الشريعة السمحاء لم تأت حكما عبثا بل لا بد لكل مبدإ قررته من حكمة مقبولة معقولة ؟ أليس ذلك لكون النساء يوصفن بالنقص عن الرجل فى مهمات الامور الحسية والمعنوية ؟ على أن من تقلد منهن الملك فى الممالك المبيحة لذلك وأفلح فلم يكمل له الفلاح . واذا كمل له فهو من النادر الذى لاحكم له ومع ذلك يكون معظم الفضل ان لم يكن كله للرجال الذين يدبرون الملك فى عهدهن .

هذا وقد اجمع علماء التوحيد على ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا من النساء مع كونه بعث مالا يحصى من الذكور: « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » فاذا كان الله سبحانه وتعالى جعل تدبير امور

الجمهور وتنظيم الشرائع والقوانين والوساطة بينه وبين عباده بيد الرجال ولم يجعل للنساء فى ذلك نصيبا فأى امرأة تقصد بعد ذلك ان تتعدى طورها واى رجل يريد ان يساعدها على ذلك يكونان قد اعترضا على حكمة البارى وخالفا الشرائع السماوية ومن لم يعتقد بالشرائع السماوية فلا كلام لنا معه ولا جدال .

اقرار بعض علماء الفرنج والسيدات انفسهن « بان المرأة لا يلزم ان تتعدى وظيفتها »

وهذا هو رأى كثيرين من علماء اوروبا كما علمنا مما سبق ايراده ونزيد عليه ما يأتى :

كتب العلامة الشهير والفيلسوف العمرانى طائر الصيت جول سيمون الذى عدد مآثره امبراطور المانيا على رؤوس الاشهاد مقالة فى مجلة العلماء عن المرأة الاوروبية وسوء تأثير التربية الافراطية عليها وعلى مجتمعها برهن فيها على ان الحقوق التى تنتحلها المرأة المتمدنة انفسها خروج عن الحد وغلو كانت نتيجته وخيمة للغاية وشدد النكير كثيرا على اشتغال النساء خارج بيوتهن ومزاحمتهن للرجال فى الاعمال عاداً ذلك مقوضا لبناء المدنية مفسدا للنظامات العائلية واستطرد فى الكلام الى ان قال: « المرأة التى تشتغل خارج بيتها تؤدى فى الحقيقة عمل عامل بسيط ولكنها لا تؤدى عمل امرأة » ثم قال: « النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ وقد

استخدمتهن الحكومة فى معاملها . وبهذا فقد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن فى مقابلة ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضا. نعم ان الرجل قد صار يستفيد من اجرة امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له فى عمله » ثم قال : « وهناك نساء ارقى من هؤلاء تشتغلن بمسك الدفاتر وفى محلات التجارات ويستخدمن فى الحكومة كمعلمات وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوستة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدى ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من عائلاتهن سلخا . » ثم اطنب فى مضار ذلك وختم فصله بقوله : « يقول بعض الفلاسفة ان الحياة محفوفة بالمكارة ولكنهم ربما قالوا ذلك لانهم لم يذوقوا طعم الحب طول عمرهم . أما أنا فاقول : ان الحياة طيبة هنيئة بشرط ان يلزم كل من الرجل والمرأة المحل الذى خصصه الله تعالى لكل منهما . » اه

هذا ما قاله ذلك الفيلسوف وقد عرفنا من هو فلا يصح ان نضرب بقوله عرض الحائط . ولنلتفت الآن الى ما قاله مستر (لوسن) الكاتب الاميركى الشهير فى مجلة المجلات التى هى اشهر مجلات العلم فى العالم (مجلد ٢٥) عن المرأة الاميركية وما آل اليه أمرها : وصف هذا الكاتب الحر المرأة الاميركية وصف رجل لا يغره الظاهر المموه ولا تدهشه خضراء الدمن مما يجب على الشرقى ان يتدبر فيه ويستفيد منه ليتخذه عبرة تزعه عن التقليد عن غير روية . قال جنابه بعد كلام طويل : « اما تدبير المنزل فيثير لهن ضجرا لا يستطعن اخفاءه لانهن فى الحقيقة لا يردن ان يكن ربات عائلات بل يردن ان يكتفين بانفسهن مع انهن

لا يستطعن ان يفقدن كثيرا من الزمن لا فى الخياطة ولا في المطبخ » ثم قال : « فالمرأة الاميريكيــة لا تقرأ ولا تحفظ بل ولا تفتكر فى شئ كما يجب . اما معظم شغلها الشاغل فهو التزين والتبرج فتراهـا تعتمد على ظرافتها وجمالها لكى تسلب فؤاد حامل الدولارات (الريالات) الذى يعطيها الحق فى ان تصرف كما تشاء لتبل أوام مابها من البذخ والترف » ثم قال بعد ان سرد لها مساوى كثيرة : « هذه الحالة النفسية الشديدة التهديد لمستقبل العنصر الاميريكى قد وصفتها بدون غلو ولا تقصير حيث لم اكتم شيئا مما يتعلق باستعصاء هذا الداء الدوى . » اه ملخصا من مقالة لحضرة فريد افندى وجدى نشرت بالمؤيد الاغر بعنوان (نصيحة للباحثين فى تهذيب المرأة)

هذا وقد نقلت الينا جريدة الاهرام الغراء فى عددها الصادر فى يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ ضمن مقالة افتتاحية عنوانها (المتكانزون وحكم انكليزى عليهم) خطبة لذلك الانكليزى وهو الفيلسوف الشهير المستر « بظلى » اختتمها بذمه انتشار مذهب حقوق النساء السياسية فى انكلترا ونصح لفرنسا ان تتجنب هذا الخطر . وفهم بعض السيدات الانكليزيات انفسهن ان وراء مذهب حقوق النساء ما وراءه من الخطر على المجتمع الانسانى فقامت من بينهن العالمة « مس فرنسيس لو » وناهيك بالمرأة الانكليزية علما وتربية ونشرت فى مجلة القرن التاسع عشر رسالة اختتمتها بما يأتى كما عربتها لنا جريدة الأهرام الغراء فى عددها الصادر يوم ٩ ستمبر سنة ١٨٩٩ قالت بعد ان ذكرت اعمال المؤتمر الذى عقده بعض النساء بلوندرة فى هذا العام :

« ان مؤتمراً كالذى تقدم ذكره يؤدى الى زرع العداوة والبغضاء بين »

«الجنسين اللذين يتألف منهما النوع الانسانى لان كلا منهما قد وهبه الخالق»
«عز وجل صفات ومزايا خاصة تمكنه من القيام بالعمل الذى ارصدته له»
«الطبيعة على مبدإ التعاون والتناصر فلذلك كان كل مسعى الى تحقيق»
«سعادة احدهما دون النظر الى سعادة النوع كله سعيا خبيثا يؤيده رأى»
«فائل وامل باطل. وكأن المؤتمر بذلك يدل على ضيق مداركه وخطل آرائه»
«وقلة فطنته لانه يسعى الى خلط النابل بالحابل وتشويش نظام الجمعية»
«البشرية كلها وقلب شرائعها الالهية وقوانينها المدنية الانسانية رأسا»
«على عقب: وما كان احراه ان لا يلتئم له شمل اذا كانت هذه هى الغاية»
«التى يسعى اليها والمبادئ التى يعول عليها....» اه

واتماما للفائدة نورد هنا ايضا ما كتبه فى هذا الموضوع حضرة فريد افندى وجدى ضمن مقالته سالفة الذكر قال:

هل للمرأة أن تشتغل باشغال الرجال؟

«نحن اذا عرفنا حقيقة المرأة من انها ذلك الكائن الانسانى الذى اعدته»
«العناية الالهية لحفظ النوع البشرى واستدامته ووهبته سائر الخصائص»
«والمواهب التى يقوى بها على أداء هذه الخدمة. ثم ادركنا جيداً ان هذه»
«الخدمة لاجل أن تؤدى كما يجب تستغرق جل أوقات المرأة علمنا بدون»
«أدنى شبهة ان المرأة لم تخلق لتتعاطى أشغالا خارج بيتها الذى يأوى اليه»
«صغارها المحتاجون فى كل لحظة للعناية والملاحظة. ثم تحققنا تبعاً لذلك ان»
«القاء المرأة بنفسها فى معترك الحياة الخارجية هو تعد منها لحدودها الطبيعية»

« ويجب أخذ جميع الوسائل الفعالة دون انتشار ذلك التعدى بالطرق الحكمية »
« الحافظة لسعادة الهيئة الاجتماعية . هنا يمكن ان يعترض علينا المعترضون »
« قائلين : ألم تر تلك الشعوب الافريقية والاسيوية مثلا كيف تشتغل النساء »
« مع الرجال كتفاً لكتف ولولا ذلك لما استقام لسكان تلك البلاد معيشة ؟ »
« نقول نعم كل ذلك صحيح وهو مظهر من مظاهر أسر الرجل للمرأة وأثر »
« من آثار حرمانه اياها من حقوقها الطبيعية شأن القوى مع الضعيف . ونحن »
« فى مجال لا يجوز لنا أن نتخذ حال الهمجية دليلا على نظرياتنا العمرانية »
« ولو دقق المعترضون النظر لرأوا ان السبب الرئيسى لتأخر تلك الشعوب »
« فى ميادين المدنية هو اشتغال المرأة بغير وظيفتها والزام الرجل لها بترك »
« اولادها تحت رحمة الصدف والمقتضيات الطبيعية وهى غير كافية لابلاغ »
« الانسان كماله المرجو له والذى خلق لاجله ولذلك فان جهابذة علماء »
« العمران يعتبرون طروّ عادة الاسترقاق على مابها من فظاعة مبدأ من »
« مبادئ الرق البشرى لان حدوثه خفف عن عاتق المرأة أثقالها ووهبها »
« من الدعة والراحة مايسمح لها بتنمية قوتها العقلية وتربية اولادها نوعا »
« ما . هذه حقيقة عمرانية يمكن الاطلاع عليها فى كتب علم الاجتماع »
« البشرى . اذن لم يبق علينا الآن الا أن نثبت أن الحياة المدنية تنافى »
« تعاطى النساء أشغال الرجال . وهل لدينا دليل أصدق من الاستناد »
« على مشاهدات علماء العمران فى هذا الشأن : »

« قال الاستاذ (فريرو) البحاث فى أحوال الانسان وتطوراته : انه »
« يوجد فى انجلتره كثير من النساء اللواتى يتعاطين أشغال الرجال ويتركن »

«الزواج بالمرة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث أى انهن لسن برجال»
«ولا بنساء لمنافاتهن للاول طبيعة وتركيبا وللأخريات وظائف وأعمالا .»
«وقد درس هذا الاستاذ أحوالهن درسا مدققا فوجد أنهن بتركهن الزواج»
«وانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية كالامومة وما يتبعها قد تغيرت»
«احساساتهن عن احساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة من الكآبة»
«تشبه أعراض الماليخوليا. فكأن الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة على»
«اغفالهن حقوقهن. ثم قال: «وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة»
«هذا الامر المنافى للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار»
«بعضهن عالة على الجمعية لايجدن مايشتغلن به ولو تمادى الحال على هذا»
«المنوال لنشأ منه خلل اجتماعى عظيم الشأن.» هذا موجز ما كتبه ذلك»
«الاستاذ ومنه يتضح للقارئ اللبيب وجوب الحذر من تمهيد السبل امام»
«النساء لتعاطى أشغال الرجال بالوسائل العادلة الكافلة لراحة الجنسين»
«وليس ذلك بالعزيز علينا لو وقف بعضنا نفسه كما هو حاصل فى أوروبا»
«على درس دقائق علم الاجتماع وارشاد الحكومات لما يرونه أضمن لحفظ»
«أجزاء الهيئة الاجتماعية .» اهـ

اذا تقرر ذلك وعلم ان المرأة اضعف من الرجل وان الرجل راعيها وأن لها عملا مخصوصا محدودا لا يصح ان تتعداه فكيف يطلب منا ان نسوى بين من لم يسوّ الله بينهما ونخالف حكمته؟ أليس الله هو الذى جعل حظ الرجل مثل حظ الانثيين؟ أليس هو كذلك الذى جعل شهادة الرجل الواحد تعدل شهادة امرأتين؟ وليت شعرى ماذا يقول الشرقى

المسلم بعد أن يتدبر اقوال علماء العمران سالفي الذكر: أيصح أن يصر على فكره الاول من ضرورة احتذاء المرأة الشرقية شاكلة المرأة الغربية أم يلزمه ان يتخذ هذه الاقوال عبرة ويجعلها وامثالها نصب عينيه لتتمكن من وضع قاعدة حكيمة لتربية نسائنا على موجبها كي ينتجن النتيجة التي ينتظرها منهن كل محب لبلاده وجامعته الملية. ودينا فيه والحمد لله الكفاية للحصول على ذلك كما ترى في الباب الثاني من هذا الكتاب. واذا كنا نريد بالنساء المسلمات خيرا حقيقة ورفقا فما علينا الا ان نتبع ما جاء في كتاب الله العزيز وفي احاديث نبيه الهادي الى الطريق المستقيم فانهما مع هذا الفرق بين الرجل والمرأة في التركيب الطبيعي وفي الطبائع والحقوق ومع تقسيم العمل والوظائف بينهما قد حثا على حسن معاملة النساء والرفق بهن والاستيصاء بهن خيرا بآيات واحاديث مسطورة في كتب السنة المعتمدة. وكما جعل الله سبحانه وتعالى حقوقا للرجل على المرأة طالب الرجل بما لا يقل عن تلك الحقوق بالنسبة لامرأته كما هو معلوم ايضا لتتوفر اسباب السعادة والوفاق بينهما.

على أن من انصف سلم بان المرأة عند اغلب المسلمين الآن وقبل الآن هي صاحبة الامر والنهي في بيت زوجها والقول قولها. وكم من رجل لا يمكنه ان يبدي اي رأي او يعمل اي عمل الا بعد ان يشاور زوجته وان يكن في قلبه من مشوراتها حسرات وغصص لجهالته المترتب عليها طبعا جهالتها. ولنختتم هذا الباب بذكر ما نتج عن تحرير المرأة في اوروبا ليتحقق لذي عينين ان كان يليق بنا ان نقتدي بالاوروبيين في ذلك ام لا:

﴿ ماهى نتائج تحرير المرأة فى اوروبا ﴾

قال حضرة فريد افندى وجدى تحت هذا العنوان : لا نظن ان «المرأة قاست من آلام الاسر فى بلد مثل ما قاسته فى أوروبا من اول» «أدوارها لغاية القرن السابع عشر . ونحن هنا لا نود ان نتوسع فى بيان» « الفظائع التى كانت تعامل النساء بها فى تلك البلاد الغربية . ولكننا نقول » « اجمالا ان المرأة كانت هنالك تعد من ضمن العجماوات سواء بسواء . بل » « ربما كانوا يكرمون العجماوات اكثر منهن فى بعض الاحوال . » «فان امامنا الآن من أخبار القرون الوسطى انهم كانوا يحرمون على المرأة» «أكل اللحوم ويجبرونها على ملازمة المآكل النباتية كما يمنعونها من الضحك» «والكلام . ولكننا لم نر من اخبار تلك القرون انهم حرموا على الهرر تناول» «اللحم او حرموها من اللعب والقفز امام من يقتنيها . نعم بلغ أسر المرأة» «فى الغرب الى درجة وحشية جداً حتى تطرف كثير منهم وزعموا ان المرأة» «ليست من نوع الانسان بل هى من نوع وسط بين الحيوان والبشر . » «والف احد علمائهم فى ذلك كتابا سماه **هل للمرأة نفس** ولكن لما ترقت» «المدارك ولطفت الاحساسات أدرك الرجل شدة هضمه لحقوق المرأة » « فأخذ فى اطلاق العنان لها شيئا فشيئا وساعد على ذلك فشو الالحاد فى » « بعض الطبقات تحت آثار التعاليم المادية التى انتزعت منهم كثيراً من » «الكمالات الانسانية فمالت النفوس الى الشهوات البهيمية واستلزم ذلك» «التغاضى عن تبرج النساء فقوى شأنهن تدريجاً حتى قمن فى السنين الاخيرة»

« (تحت حماية الرجال) يؤلفن الجمعيات للمطالبة بحقوقهن المهضومة التي »
« تخولهن على زعمهن التربع في دسوت الوزارات وتقلد المراكز السياسية »
« لقيادة الشؤن الاجتماعية . وليت الامر وقف عند هذا الحد بل سرى »
« فساد الاخلاق اليهن سريانا يخجل الكاتب من سرد وقائعه الشائنة »
« وتعداد حوادثه المخجلة »

« الم تر ان المرأة التي كانت محرما عليها اكل اللحم صارت تشاطر الرجال »
« في الجلوس على المنتديات العمومية : الم ترها بعد ان كانت محجوراً عليها »
« غير الصلاة وطاعة زوجها طاعة عمياء قد صارت الآن تحسو بنت الحان »
« على رؤوس الاشهاد حتى لا تجد في ساقيها قوة توصلها الى بيتها الذي فيه »
« صغارها فتطرح نفسها على افاريز الطرقات وهي سكرى لا تستطيع »
« حراكا فيحملها رجال البوليس لتبيت في الضابطة . فقد دل الاحصاء في »
« بعض البلاد المتمدنة على ان البوليس يجد فيها سنويا ما يزيد عن العشرة »
« آلاف امرأة ملقاة في الطريق ثملا . وليتهن وقفن عند هذا الحد المدهش »
« فان بعض المتعلمات منهن قد فقدن فضيلة الحياء لدرجة صرن يؤلفن »
« الكتب يندبن فيها بعادة الزواج مدعيات انها من آثار الوحشية الأولى »
« قائلات ما هذه العادة السيئة التي تحرم المرأة من التمتع بابلاغ عواطفها »
« الحية مشتهياتها ؛ ما هذه التقاليد التي تربط المرأة بالرجل ارتباطا دائما »
« فتجبرها على ملازمة رجل قبح في عينها لرؤيتها من هو اجمل منه ؛ ماهذا »
« الرباط الحديدي الذي يمنع المرأة من ان تنصاع لاميال فؤادها السريع »
« التقلب الكثير الاحساس بالانفعالات المختلفة ؛ كلا . يعار على الهيئة »

«الاجتماعية ان تذر هذه التقاليد القديمة حية للآن ويجب على ربات الجمال»
«ان يبذلن وسعهن للتخلص منها بكل الطرق الممكنة . هذه كلها مقولات»
«بعض المتغاليات من نساء العالم المتمدن وهذه الحالة قد اقامت علماء العمران»
«وأقعدتهم وجعلتهم يتوقعون انهدام عظمة أوروبا بيد المرأة الضعيفة اذا»
«لم يتوصلوا الى ايقافها عند حدها »

«قال المسيو (جان فينو) مدير مجلة المجلات فى فصل ذكر فيه غلواء»
«النساء فى الحرية والمصائب التى جرتها على المدنية: «نقول بغاية الأسف»
«ان المرأة التى بواسطتها تهذبت أوروبا ستكون هى نفسها هادمة تلك»
«المدنية الزاهرة بيديها . بازاء هذه النزغات فان عقلاء القوم لا يدرون»
«كيف يوقفون سير هذا التيار الشديد الاندفاع الذى ابتدأ يجرف امامه»
«كل الكمالات الاخلاقية التى بنيت على اساسها عظمة العالم المتمدن . »
«قال الكاتب الشهير (جول بوا) بعد سرده مساوى المرأة فى بحبوحة»
«الحرية : « وبانتظارنا على هذه الحالة ستثنينا المرأة تحت سلطة جرائدها»
«وصناعتها وفلسفتها التى لم تحسن استنتاجها للآن . فترى افكارنا قد تشبعت»
«باخلاقها السامة التى تبعث النفوس الى البذخ البالغ حد الجنون والسفه.»
«فهى لا تفتأ تحبب الينا البطالة وقلة النظام وتبرهن لنا على انه يجب على»
«الانسان ان يتسفل فى امياله لكى يصل الى معالى الامور. » هذا قول»
«كاتب من فطاحل كتابهم وما يقوله غيره فى هذا المعنى لا يدخل تحت»
«الحصر فلا لزوم للاستزادة منه فى هذه العجالة. ولا يحسبن القارئ ان هذا»
«ناشئ من حسد الرجال للنساء على ما نلن من حرية فان عقلاءهن ايضا قد»

«ادركن هذا الفساد ووخامة عاقبته فقمن ينصحن لاخواتهن بالاعتدال»
«والتوسط فى أمورهن ولا يتأخرن عن اظهار ما يختلج بضمائرهن لمن»
«يسألهن عن آرائهن. واليك معنى ماقالته احدى العاقلات للمسيو (جول بوا)»
«بعد ذكرها احوال النساء: «هذه الحالة هى مهواة جنس من الاجناس»
«ونهاية جيل من الناس لم يفكروا الا فى شهواتهم البهيمية حتى انتهى بهم»
«الامر الى حد اليأس المهلك. الى ان قالت: «ان داء الضجر العضال ينتابنا»
«معشر النساء المتبرجات جميعا وان اذ كانا تدرك ساعة هدوها انها غير صالحة»
«لشئ ما. ارح نفسك فانا سنتلاشى بهدو وسكينة بدون مقاضاتنا امام»
«العدالة وان كل ما لنا من جمال ورواء سيصير أثراً بعد عين.» هذه»
«شهادة امرأة عاقلة على بنات جنسها ممن يتغالين فى الحرية والترف. فهل»
«بعد هذا يجوز لنا ان نحتذى حذو اوروبا فى هذا الشأن الخطير؟ أليس»
«يجب علينا بعد هذه المشاهدات ان ندرس هذه المسألة جيداً ليتضح لنا»
«مثار الفساد الذى جرته اوروبا على نفسها ولم تستطع ان تصدم تياره بما»
«لديها من وسائل وحكمة؟ نعم ان هذا من اوجب الواجبات علينا. قبل ان»
«نخطو خطوة واحدة فى سبيل اعطاء المرأة حقوقها لان العاقل من يتعظ»
«بغيره.» اهـ

واذ قد علمنا ماهى المرأة وماهى حقيقة وظيفتها وانها راعية على بيت زوجها حافظة لامواله مربية لاولاده فلنبحث الآن فيما يلزم أن تكون متخلقة به وفيما يلزم أن تتعلمه لتؤدى وظيفتها المطلوبة منها خير تأدية فنقول:

الباب الثاني

﴿ ما ينبغي ان تكون المرأة متخلقة به . ويدخل في هذا المبحث ﴾
﴿ ماهية التربية الصحيحة وطرق الوصول اليها . ﴾

الفصل الاول

تمهيد — تسليم الكل بوجوب التربية — حالتنا الحاضرة في التعليم والادب — مداواة الحالة الحاضرة .

تمهيد — من المعلوم المقرر انه متى صح التواد بين الزوجين توفر الهناء وتمت السعادة وتبودل الاحترام بين جميع افراد العائلة وساد الوفاق وامتنعت اسباب الشقاق وكان الامر بينهم شورى . فما احسن الزوجين المتمتعين في منزلهما بالسعادة والهناء وبحسن ادارة المنزل وما احسن الزوج الذي يحسن ارضاء زوجته والزوجة التي تحسن ارضاء زوجها

ومعرفة ارضاء احد الزوجين للآخر فن دقيق لانه يستدعي كمال التربية واعتياد كل من الزوج والزوجة على تحسين احوال المنزل المشترك بينهما وتنظيمه وترتيبه بقدر ما يمكن ومعرفة الاعتناء بالوسائل التي تستدعيها الصداقة بين الزوجين لاشتراكهما في المنفعة العمومية . فروابط الوداد الاكيدة بين الزوجين يتولد منها ثقة عظيمة في افعالهما واقوالهما وجمع قلوب

بعضهما على بعض فيكون كل منهما قوى الوداد شريف الفؤاد . فاذا حصل التناسل والذرية تأكدت هذه المحبة التى قضت بثبوتها الزوجية واقتدى الاولاد بالوالدين فى المحبة المتبادلة وفى الاشغال المنزلية الموجبة للعمران.

وكان نساء السلف اذا خرج الرجل الى عمله يقلن له: « اتق الله ولا تكسبن الا من حلال فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار. » وهمَّ احدهم بالسفر فقال جيرانه لزوجته : « لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق : يذهب الاكال ويبقى الرزاق » هذه عبارات لو نظرها الانسان بعين الانصاف لوجدها صالحة لان تشرح بمجلدات تقوم عليها دعائم السياسة ونظام الملك

تسليم الكل بوجوب التربية — لذلك اهتم كل الامم بتربية البنين والبنات وتهذيب اخلاقهم. ووجوب التربية اصبح مسلما به من العموم ومن البديهيات التى يعترف بها كل قاص ودان. ومع ذلك كثرت المباحثات واشتغل العلماء والافاضل فى هذا الموضوع لا لاثبات لزوم ذلك بل لبث الرغبة أو الرهبة أو كلتيهما فى الناس لأن حب الخير وحده ليس كافيا فى سعادة الامم بل لا بد من العمل هدانا الله اليه .

ولم يقتصر الاسلام فى ذلك كما يظن خصومه الذين يدعون ان لا تربية عند المسلمين خصوصا للبنات إما تعنتاً لغاية فى النفس يريدون قضاءها او جهلا منهم باحكام الشريعة الغراء خصوصاً ما يتعلق منها بمكارم الاخلاق واحكام المعاملات بجميع انواعها فيغترون بما يشاهدونه من سوء الاعمال وفساد الاخلاق وخرق سياج المروءة بما تأباه الانسانية فيظنون ان هذه

المنكرات مقتضى الشريعة الغرآء وصريح القرآن الكريم ويستنتجون من ذلك ان الدين الاسلامى الذى فيما يظنون هو هذه المنكرات انما هو امارة الدمار والمؤذن بالبوار وانه عنوان الخراب وابعد الاشياء عن نظام الممالك وعمران البلاد الى آخر ما يرمونه به مما هو منه براء

وليس الغريب جهل هؤلاء القوم او عنادهم انما الاغرب منه ما نشاهده من بعض جهالنا الذين يكادون ينكرون البديهيات اذا قالها القرآن ويذعنون للمستحيلات متى عزيت الى المسيو والمستر فلان ..... ولله فى خلقه شؤون .

ومن نظر بعين الانصاف وجد ان فى الشريعة الاسلامية من الحث على علو الهمم واكتساب المجد وطلب المعالى والتنزه عن سفاسف الامور وعن ان يكون المرء عالة على الناس ما لا يسعه هذا الكتاب. وكذلك فيها من آداب سنية واخلاق زكية تضمن اصلاح النفس والجسم وحسن التربية والاخلاق ما يكفى لعمار الممالك وضمان السعادتين الدنيوية والاخروية. وكان السلف يعودون ابناءهم عليها فيشبون عليها فيأخذها عنهم ابناؤهم وبذا اصبحت الدنيا لهم ولم تول عنهم الا يوم تولوا عن الدين وحادوا عن مبادئه ولم يأتمروا بأوامره ولم ينتهوا بنواهيه . يوم اهملوا تربية الاولاد التربية الحقة. التربية التى يقتضيها الدين. التربية الصحيحة التى تنطبق تمام الانطباق على احكام القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. يوم دهمتنا المدنية الغربية على فجأة بعد أن هبطنا من عظمتنا الاولى وظللنا قرونا عديدة تتوزعنا الفتن وتتقاسمنا الاحن فاحدث لدينا ذلك الانقلاب

الفجائى دوارا اجتماعيا جعلنا نتخبط فى سيرنا ونضطرب فى اعمالنا على غير هدى.

يوم دهمتنا المدنية الجديدة على ما بها من بهجة ظاهرية فظننا أن ذلك منتهى ما يدركه الانسان من الكمال فالقينا انفسنا فى مضمار التشبه والتقليد وتسابقنا فى باحات التكيف بما توهمناه اصولا لذلك الكمال البشرى فهبطنا الى درجة ادنى مما كنا فيها واى هبوط.

يوم جهلنا ان الذى جاء به الاسلام من الاحوال والاحكام هو الذي مدن بلاد الدنيا على الاطلاق وانبعثت انوار هديه فى سائر الافاق ايام كان الناس عاملين باحكامه فنبذنا اصوله وانقدنا لاهوائنا واهواء غيرنا فكان جزاؤنا ما اصبحنا فيه من الفشل والاختباط. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتيتكم بشريعة حنيفية بيضاء لم يأت بها نبى قبلى ولو كان أخى موسى وسائر الانبياء فى زمنى لم يسعهم الا اتباع شريعتى»

فاذا كنا نريد اصلاحا حقيقيا لمجتمعنا فما علينا الا أن نبنى كما كانت اوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا ولنعمل على تربية ابنائنا تربية صحيحة حقة حتى يأتى يوم نعيد فيه اذا استطعنا مجد آبائنا ونحصل على السعادة الداخلية والخارجية والهناء فى الدارين.

وحيث كان الاطفال ذكورا او إناثا محتاجين للتربية — لانه لا يوجد احد يسلم بان التربية الحاصلة الآن للذكور كافية وكافلة لتخريج رجال يصح ان يكونوا ازواجا لنساء متربيات التربية الصحيحة التى ندعو اليها ويأمر بها الدين ولا ان يكونوا آباء يهذبون ويقوّمون أخلاق أبنائهم ويربونهم تلك التربية المطلوبة — فلذلك وجب على كل من يرغب فى تحسين حال

البلاد ويغار على امته وملته ووطنه ان يسعى جهده فى الوصول الى هذه الغاية .
وياليت اللجنة أو الجمعية التى أشارت الى تشكيلها الجرائد لتحرير المرأة الشرقية تقوم وتتشكل لتبحث فى ايجاد انجع الطرق واسهلها لتربية البنات والبنين معاً التربية الصحيحة الاسلامية. وياليتنا جميعا نقوم من غفلتنا ونهب من رقدتنا بعد ان صرنا فى حالة من الجهالة وفساد الاخلاق يرثى لها العدو قبل الصديق فنعمل بما يفرضه علينا ديننا ونقوم بما علينا من الواجبات لابنائنا. ولا غرو فالسبب الاصلى فى كل هذا البلاء ملقى على عواتقنا وعواهننا ونحن مسئولون أمام الخالق سبحانه وتعالى عن تركنا ابناءنا منذ نشأتهم ضحية للتغيرات الجوية والتقلبات الوسطية والاضاليل والترهات القولية بدون مراعاة أى ناموس من نواميس التربية الصحيحة الحقة . ولعمر الحق ماذا عملنا ؟ قصرنا عن ايجاد نسل صالح للعمل عقلا وجسما !! اطلقنا العنان لاطفالنا وهم بين حجورنا فى الكسل والرخاء والتنعم والترف وغيرها من العوامل التى تنتزع من النفس سلطات المروءة والنخوة فترتب على ذلك انه انطبع فى جوهر مخهم تلك المبادئ الفاسدة ونمت مع نموهم تلك العيوب التى تشربوها فى صغرهم !! غفلنا عن كل ماهو فى صالحنا . واهملنا تربية اولادنا فاصبحت حالتنا فى التعليم والآداب كما يعلمها الكل ولا ينازع فيها احد غير ملائمة لمصلحة الامة من كل وجه وخصوصا المسلمين منهم بعد ما اغفلت الحكومة العناية التى كانت لها قبل بامور الدين !! أصبحنا فى حالة الاملاق والحقارة: لا اقدام. لا نشاط. لا فضيلة. نخبط خبط عشواء !! اصبحنا متفانين فى استهلاك شرفنا وثروتنا وجسمنا وعقلنا وكل فرد منا يشكو لاخيه تقهقره وسوء حاله ويلق

تبعة ذلك على غيره ولا يدرى انه اول الناس فى اهمال واجبه الاقدس!!
وكثيرا ما ترى المتنور منا يصف لك العلاج الشافى وصفا جيدا ولكنه
لايجربه لنفسه . واذا لاحظت عليه ذلك اجابك لسان حاله بقول القائل:
نخذ بعلمى ولا تركن الى عملى * ينفعك علمى ولا تضررك اوزارى
وما ذلك وايم الحق إلا خطأ محض فان النصيحة لايكون لها
تأثير حتى تصدر عن حر الطبع نقى الصنع بالفضائل بصير عامل بما يقول .

﴿ حالتنا الحاضرة فى التعليم والادب ﴾

أما كفانا عارا ان تكون آدابنا على ما بينا وعلى ما جاء بجريدة المقطم الاغر
فى عددها الصادر فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٩ بعنوان **آداب الامة عنوان مجدها**
ولما احتوته هذه المقالة من فوائد جمة فى هذا الموضوع ننقلها بلفظها. قالت:
«لا نكاد نسمع بامة بلغت ذرى العلياء حتى انافت على السماكين»
«منزلا الا كان الادب لها رائدا ونريد بالادب هنا معناه اللغوى اى ما»
«يحترز به عن جميع انواع الخطأ او هو ملكة تعصم من قامت به عما»
«يشينه كما عرفه صاحب المحيط فهو صولجان كل مملكة .وتاج كل رئاسة.»
«وفخر كل امة . بل هو الدعامة الكبرى فى نجاح كل امة وتقدمها »
«وهذا الكاتب الفرنسوى الشهير الموسيو ادمون ديمولان عند»
«ما حاق بامته من التأخر والانحطاط بالنسبة الى الامة الانكليزية جارتها»
«اعمل فكرته واجهد قريحته حتى وقف على اسباب ذلك التأخر فجمعها»
«فى كتاب ونشره على امته تنبيهاً لها من غفلتها وايقاظا من رقدتها وهو»

«الكتاب المشهور بسر تقدم الانكليز الذى ترجمه حضرة العالم الفقيه»
«والمنشئ البليغ احمد بك فتحي . ولقد وجد هذا الكاتب الشهير بعد»
«البحث الدقيق ان السر فى نجاح الامة البريطانية هذا النجاح الذى لم»
«تبلغه امة من الأمم الخالية والحاضرة آداب افرادها وحسن تربيتهم»
«البيتية الى اولادهم متبعين فى ذلك قول الحكيم (رب الولد فى طريقة»
«فمتى شاخ لا يحيد عنها) ويظهر تقدير الأمة الانكليزية للفضيلة»
«واحتقارها للرذيلة من سقوط بارنل رئيس الحزب الارلندى السقوط»
«الهائل وهو اذ ذاك معادل لشيخ الحرية المرحوم المستر غلادستون فى»
«مكانته.وذلك لاشتهاره بالزنا حتى بلغ به الامر ان عرض على رجال»
«الصحافة مائة الف جنيه لكيلا يذكروا اسمه فى صحفهم فابت الفضيلة»
«التى ربوا عليها الا ان يشهروه على صفحات الجرائد تشهيرا ليكون»
« عبرة لغيره وليقوموا بواجب الخدمة العمومية التى ندبوا انفسهم لها»
«ففعلوا وهكذاسقط . ولا يظن القارئ الكريم ان ذلك محصور بين الطبقة»
« العالية فيهم بل هو قد تناول افراد الطبقة الدنيا ايضا »

«واذكر ان عسكريا انكليزيا ركب المركبة الكهربائية وهو ثمل من»
« الشرب لا تكاد تحمله رجلاه وجلس على المقعد الذى امامنا ولم يكد »
« يستقر به الجلوس حتى صعدت سيدتان مع ولدين لهما الى حيث هو »
« جالس فنهض مسرعا وأجلس احد الولدين موضعه اذ لم يكن فى المقعد »
« متسع لجلوسهم جميعا وظل واقفا وهو فى اشد التعب حتى بلغت »
« المركبة متنزه العباسية »

«واين ما فعله هذا الجندى وهو فى حالته تلك مما يفعله بعض ادبائنا»
« الذين شاركوا الغوانى فى لباسهن والمخنثين فى اخلاقهم من ارتيادهم »
« الطرقات والمنتديات وهم كل ما رأوا سيدة عارضوها فى طريقها »
« واسمعوها من بذاءة اقوالهم ما يحمر له وجه كل حر خجلا . وأنكى »
« من ذلك واشد وقاحة شراؤهم الصور القبيحة وابرازها امام كل مخدرة»
« يلتقون بها فتأخذ تلك المسكينة الرعدة من هذه السفالة ولا يزالون »
« فى اثرها حتى تلج حانوتا او تركب مركبة تخلصا من شرهم فيضربوا اذ »
« ذاك فى الضحك مقهقهين ولا قهقهة القرود سرورا بما اتوه من »
« الشهامة والنبالة »

« وهناك نوع آخر من الوقاحة يستعمله بعض ركاب العجلات »
« وهو انهم كلما رأوا سيدة خارجة فى مركبتها للتنزه ساروا بحذائها »
« حتى يضطروها الى اسدال ستار كوة المركبة فرارا من نظراتهم السافلة »
« وهى نهاية فى الحطة وفقد الشرف . الا يذكر هؤلاء الاغرار ان لهم »
« امهات واخوات ؟ فكيف اذا خرجن ونالهن من مثل ذلك ما نال »
« غيرهن منهم !! فاذا لم يكن لهم وازع من دين ولا ناه من ادب فخشية »
« ان الكيل الذى به يكيلون يكال لهم به وازيد

« هؤلاء غير رجال وخط الشيب رأسهم تجدهم عصارى كل يوم »
« فى محطة الكهربائية العمومية يركبون القطار ذهابا وجيئة وليس لهم »
« من ارب فى ركوبه سوى تهتكهم وابداء سفالتهم لكل امرأة يجدونها »
« فى القطار وحدها ولا رجل معها

« ولما كان لا يرجى من رجال البوليس ان يراقبوا امثال هـذه »
« المنكرات لانهما كهم فى اشغالهم الخصوصية وجب على الجرائد الوطنية »
« على اختلاف نزعاتها وتباين مذاهبها ان تتفق على مطالبة الحكومة »
« بان تجبر شركة الترمواى على القيام بما تكفلت به واشترطته على نفسها »
« من جعل عربات خصوصية للنساء ويظهر ان الفئة التى عارضت سعادة »
« العالم الاصولى قاسم بك امين فى رأيه الذى ذكره فى كتابه ،،تحرير »
« المرأة ،، عن احتجاب النساء وتمنيه ان يكن عندنا مثل ما هن عند »
« الغربيين مصيبة فى معارضتها ما دام عندنا شبان هـذا مبلغهم من »
« الآداب : وهم لسوء حظ مصر غير قلائل »

« وربما اخذ البعض العجب عنـد قراءتهم خبر الصور المغايرة »
« للآداب وعما يفعل بها لانهم يتذكرون ان وزارة الداخلية اصدرت »
« قرارا بمنع بيعها وسنت عقابا لمن يخالف أمرها . ولكن ذلك العجب »
« يزول عند ما يعرف القارئ الكريم ان تنفيذ هذا القرار موكول »
« امره الى رجال البوليس وهم كما يعلم الجمهور لا يعرفون من واجباتهم »
« (اولا يريدون ان يعرفوا) سوى معاكسة باعة الفاكهة اذا لم يستجلبوا »
« رضاهم ومخالفة الحوذيين اذا لم ينقدوهم الجعل المعلوم وما سوى ذلك »
« فهو عندهم رجس من عمل الشيطان يجتنبونه »

« ولما كان الحث على الفضيلة والنهى عن المنكر من اخص واجبات »
« الصحف ومن اجل الخدمات التى تقدمها للوطن وبنيه سيما ما يحط »
« بشأنه ويحقر ابناءه فى اعين الاجانب من مثل الفعال التى مر الكلام »

« عليها فحبذا لو انها تتفق على ايجاد طريقة فعالة لكبح جماح هؤلاء »
« الاغرار انتصارا للفضيلة اذ هم انجب ابنائها وشيمة امثالهم البر »
« لا العقوق والسلام »

مداواة الحالة الحاضرة — مما تقدم ينتج انه ليست تقوم لنا قائمة الا اذا سعينا فى تحسين التربية والتعليم وجعلناهما ملائمين لمصلحة الامة من كل وجه ويجمل بنا ان نورد هنا كل ماحضرة صاحب تحرير المرأة . قال :
« وقد آن الوقت على ما اظن لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية. »
« تربية تنشئ رجالا أولى علم واصالة رأى يجمعون بين المعارف »
« والاخلاق والعلم والعمل. تربية تنقذنا من جميع العيوب التى يقذفنا بها »
« الاجنبي فى كل يوم وبكل لسان وكلها ترجع مهما اختلف فى الاسم الى »
« سبب واحد وهو النقص في تربية نفوسنا وقد اتفق جميع اهل النظر فى »
« مصر على ان التربية هى الدواء الوحيد لذلك الداء وانتشر هذا الرأى »
« الصائب في الكتب والجرائد واحاديث المجالس حتى صح ان يقال انه اصبح »
« رأيا عاما وتولد عن ذلك شعور بان مستقبل الامة تابع لتربيتها ولكن ارى »
« همم الناس موجهة الى التعليم ولا ارى احدا يلتفت الى تربية النفوس وأرى »
ان الحرص على التعليم منحصر فى تعليم الذكور مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور »

فهذا كلام كله حكم ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدنا ولكن لا يؤاخذنا اذا كنا نخالفه في امر واحد فيه وهو اننا نعتقد ان التهذيب واجب للذكور وللبنات معا لا تقديم للبعض على الآخر أو اذا كان هناك

سبب لتقديم تهذيب البعض فليبدأ بالذكور لأننا نرى ان الرجل المربى المهذب يمكنه ان يجعل امرأته على خلقه ويطبعها بطبعه

وعلى ذلك تكون تربية البنات تابعة لتربية الذكور لان الأب هو المسئول عن حالة عائلته الاخلاقية. كيف لا وهو رئيسها وراعيها — والرعية على دين راعيها — ومن المقرر ان اخلاق اهل كل منزل وعوائدهم مكتسبة من اخلاق رب المنزل وعوائده فان اكثر من الموبقات والملاهى وانواع الشهوات سرى ذلك فى بيته وعائلته وذريته :

اذا كان رب البيت بالدف مولعا * فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

وان استقام وقام بما يجب عليه حق القيام تبعته عائلته وذريته وحاشيته وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ويؤيده حالنا فى هذه الايام .

فياعلماء الامة واذكياءها وياثراتها وعقلاءها منكم يطلب تعريف الآباء واجباتهم وذلك لا يكون الا بفتح المدارس المعدة لتثقيف عقول النشأة الجديدة ولا يكفي أن يتعلموا فيها اللغة والرياضيات بل يجب أن يدرس لهم ذلك العلم الأساسى وهو فن التربية الحقيقية علميا وعمليا فليس العلم الصحيح بكثرة الرواية انما العلم بالخشية على اصول دينية ونصائح ادبية وبان يهيأ الطفل ذكرا كان او انثى للفضائل وبتعريفه واجبات الحياة ووظيفة الانسان فيها .

ولملاءمة التعليم لمصلحة الامة يجب ان يكون اساس التعليم فى المدارس الاهلية التى تؤسس اللغة العربية وامور الدين وآدابه التى اهملت فى المدارس الاميرية مع المشى فى اللغات الاجنبية والعلوم الاخرى بالنسبة للذكور حذو تلك المدارس وبذلك يكون التعليم فى المدارس الاهلية مطابقا

لمصلحة الامة من جميع الوجوه وبعد هذا وذاك يجب ان ينظر الى مستقبل المتعلمين وها نحن نرى الوظائف اصبحت اضيق ابواب الرزق لهم فلا بد من مخرج آخر وهو لا يكون الا بالترشيح للاستقلال فى العمل الحر أيا كان والدنيا مجال فسيح لابنائها العارفين وسجن ضيق للجاهلين . واذا وفق الله بعض اسخياء الأمة لانشاء مدارس صناعية كانت لابنائها منها حياة جديدة. ولكن النتيجة الحقيقية التى يستلزمها نجاح التعليم انما تكون سريعة لو وجدت (ادارة معارف اهلية) تقبض على ازمة المدارس الاهلية وتسير بها فى طريق واحدة تضمن لها الغاية التى يطلبها الجميع . وعسى ان يأتى يوم يسمع فيه هذا النداء وتجاب فيه الدعوة لها وما ذلك على الله بعزيز

وقد كان بودنا ان تكون الحكومة مساعدة على اصلاح اخلاق الامة ولكن يظهر ان الأمل فى ذلك قليل ما دام الحال كما نرى فانه من المقرر الثابت ان اغلب الناس لا يرتدعون عن غى او عن فعل قبيح الا خوف الوازع القوى أو العقاب الدنيوى ولذلك نرى الناس من يوم ان أمنوا عقاب الحكومة لهم على مخالفتهم واجبات ديانتهم قد خلعوا برقع الحياء فصنعوا ما شاؤا وانتهكوا حرمة الأدب والدين ومع ذلك تراهم يتجنبون ارتكاب مخالفة بسيطة خشية الوقوع تحت طائلة العقاب الذى سنته الحكومة لهذه المخالفة. وحيث ان ما لا يدرك كله لا يترك جله والطشاش خير من العمى كما يقال فى الامثال السائرة فياليت كبراءنا وسراة أمتنا وافاضل علمائنا يتفقون على البحث عن الحكمة اينما وجدوها علما وعملا لينشروها بين الامة إئتمارا بقوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون الى

الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ولا شك ان سائر الامة تقلدهم وتتشبه بهم فى طلب العلم الشرعى والعمل به واقامة العدل والقسطاس والتخلق بمكارم الاخلاق والترفع عن سفاسف الامور فتصطبغ امتنا المصرية بصبغة الدين القويم ويستقيم معوج الاخلاق وحينئذ يسهل وجود المعلمين الاكفاء ويصير فى استطاعة كل واحد ان يربي اولاده ويطبع زوجته بطبعه كما قدمنا

ولعمر الحق ليس ذلك صعب النوال على من يرغب فى تحسين حال بلاده ويوقف نفسه لخيرها وعزها فطرق الوصول كثيرة متيسرة لكل باحث ولكل طالب فان الحقيقة بنت البحث وكل من سار على الدرب وصل. فقد كفى المسلمين اعراضا عن دوائهم واغضاء على دائهم وكفى عارا على متنورى هذه الامة ان تبقى حقائق دين الله مختبئة فى مطاوى مجلداتها وهم مغرورون بزخارف افكار البشر مما يسمونه بالنظريات الفلسفية. اللهم ان المسلمين عن اسرار دينهم لمحجوبون وعن بدائعه للاهون فهبهم اللهم ميلا الى ترييض نفوسهم فى حقائق دينك السرمدى وقانونك الابدى وهب اللهم بصائرهم قوة تمتعهم من دينهم بما متعت به آباءهم الاقدمين انك رحيم بالمؤمنين.

ولعمرى ليس يتم لهم ذلك الا بتربية النفوس وحفظها من الامراض ولا سبيل لذلك الا بتطهير النفوس من ادناس الاوهام وتهذيبها بالمعلومات الصحيحة وتعويدها على مكارم السجايا وتصحيح اعتقادها. والاسلام تكفل بكل ذلك كما لا نزاع فيه ولا مرية فلنرجع الى احكامه ان كنا نريد لانفسنا خيرا: حقيقة ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

الفصل الثانى

التربية الصحيحة — تقسيمها الى ثلاثة انواع : الرضاعة بالالبان وتقويم الاخلاق وتربية العقول بالمعارف والعلوم — طرق التربية الصحيحة — النوع الاول — النوع الثانى — النوع الثالث

التربية الصحيحة — عرف بعضهم التربية بانها تنمية اعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته الى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعاشية فبهذا انقسمت التربية قسمين : حسية وهى تربية الجسد ومعنوية وهى تربية الروح ومع ذلك فان لتغذية الطفل ثلاثة انواع من الغذاء مختلفة الموضوع : الاولى تغذية المراضع للاطفال بالالبان . الثانية تغذيتهم بارشاد المرشد بتأديبه الاوّلى للاطفال وتهذيب اخلاقهم وتعويدهم على التطبع بالطباع الحميدة والآداب والاخلاق الفاضلة . الثالثة تغذية عقولهم بتعليم المعارف والكمالات وهذه وظيفة الاستاذ المربى كما ان ما قبلها وظيفة المرشد المتولى امر الصبي . فالنسبة بين الرضاع والتربية الاولية والتربية الانتهائية كالنسبة بين المرضع والمربى المرشد والاستاذ . فكلما اجاد المربى جادت التربية

فالتربية بانواعها الثلاثة وان كانت تظهر ببادئ الرأى سهلة بسيطة لا تحتاج الا الى عمل يسير الا انها فى الحقيقة وعند التأمل تستدعى عظيم

اهتمام وعناية وسلوك اصول مقررة وآداب محررة ويضاف الى ذلك ما يحتاج اليه المراضع والمربون والاساتذة من قوة محبة الاطفال ومعاملتهم معاملة من طب لمن حب

وقد انتج هذا ان التربية فن تمية الاعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشرى ذكرا كان او انثى طبق اصول معلومة يستفيد منها الصبي هيئة ثابتة يتبعها ويتخذها عادة وتصير له دأبا وشأنا وملكة فالتربية المعنوية حينئذ هي فن تشكيل العقول البشرية وتكييفها بكيفية حسنة مألوفة وغايتها ايجاد ملكة راسخة فى الصغير تحمله على التخلق بحسن الاخلاق حسب الامكان بحيث تحصل من هيئة تربيته الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا بسهولة ويسر . ثم ان التربية لا تفيد الصبي الذكاء ولا الألمعية فان هذه الصفات هى فى الاطفال غريزية طبيعية وانما بالتربية تنمو العقول وتحسن الادراكات والتربية الاولية فائدتها ان يعتاد الصبي على ان ينقاد بطبعه الى ما يريده منه مؤدبه ويختاره له مرشده فغايتها المطاوعة وهذا النوع كما يكون فى الانسان يكون فى الحيوان بترويضه وتمرينه على الاطاعة . اما تمية العقل التى هى غذاؤه بالمعارف المعقولة المقبولة كتغذية الجسم بالطعام فهى خاصة بالانسان فالتربية المعنوية تزيد فى تمية عقول الاطفال بالمعارف وحسن الاخلاق على التناسب من حسن ادارة المرشد والمعلم فبهذا يقال لمن اكتسب المعارف الجيدة والاخلاق الحسنة انه حسن التربية . وحسن تربية الآحاد ذكورا واناثا وانتشار ذلك فيهم يترتب عليه حسن تربية المجتمع الانسانى وهو الامة تماما.فالامة التى حسنت تربية ابنائها واستعدوا

لنفع اوطانهم هى التى تعد أمة سعيدة وملة حميدة . فبحسن تربية اولادها والوصول الى طريقة اسعادها لا تخشى ان تأتمن ابناءها على اسرار الوطن ولا على ما يكسبها الوصف الحسن بخلاف سوء التربية اذا انتشر فى أمة من الامم فان فساد اخلاق بنيها يفضى بها الى العدم حيث يفشو فيهم الانهماك على اللذات والشهوات والانتهاك للحرمات والتعود على المحرمات كما هى حالتنا الآن كما اسلفنا القول فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ طرق التربية ﴾

التربية الاولى -- تربية الولد الاولى ينبغى ان تكون فى بيت ابيه وامه وهى التربية اللائقة للبيت وكل امرأة لم تربها أمها فى صغرها لا ترغب فى تربية اولادها فى كبرها. ومن سوء التربية ان الأم تكل تربية اولادها الى غيرها بدون أن تلاحظ ذلك بنفسها فان الأم بما اودع فيها من الشفقة والرأفة على اولادها هى أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج ابنائها وبناتها. فاذا ربت المرأة اولادها الى سن التمييز تربية حسنة او معنوية انتعش فى اذهان الأبناء اعتدال المزاج والاتصاف بمكارم الاخلاق وتهذيبها وسلوك الرفق واللين التى هى من صفات التمدن .ومن هنا وجب ان تكون الام متحلية بهذه الصفات لتصلح ان تربى على حسبها اولادها عالمة بكيفية الاعتناء بالطفل وكيفية تغذيته عارفة طباع طفلها وعوائده ويحسن أيضا ان تكون الام هى التى ترضع ابنها فللرضاع تأثير ظاهر فى الاولاد فقد قال صلى الله عليه وسلم: « الرضاع يغير الطباع ». وقال :

«لا تسترضعوا الحمق فان اللبن يعدى ويروى.» ومعناه ان المرضع اذا ارضعت غلاما نزعت اليه اخلاقها فيشبهها. وعند عدم تمكن الأم تختار المرضعة العاقلة صحيحة الحواس ظاهرا وباطنا معتدلة المزاج عظيمة الثديين

حكى عن الامام ابى المعالى عبدالملك الشهير بامام الحرمين اعلم المتأخرين من اصحاب الشافعى رضى الله عنه على الاطلاق وهو الذى انتهت اليه رئاسة العلماء نحو ثلاثين سنة ولأجله بنى نظام الملك المدرسة النظامية بنيسابور وتولى بها الخطابة وكان آية من آيات الله علما وعملا ان والده كان يتعيش من نسخ الكتب فاجتمع له ثمن جارية ولم يزل يطعمها من كسب يده حتى حملت بامام الحرمين ووضعته فاوصاها ان لا تمكن احدا من ارضاعه ثم دخل عليها يوما وهى مريضة والصبى يبكى وقد شاغلته امرأة من جيرانهم بثديها فامتص منه قليلا فشق ذلك على ابيه فاخذه ونكس رأسه ومسح على بطنه وادخل اصبعه فى فيه حتى افرغ جميع ما امتصه والصبى فى خلال ذلك قد كربت نفسه تزهق وابوه يقول: «موته خير من فساد اخلاقه.» فكان الامام اذا لحقته فترة فى مجالس المناظرة يقول: «هذا من بقايا تلك الرضعة». أفترى والد هذا الامام فعل غير ما يوجبه عليه القرآن الكريم حيث يقول: «قوا انفسكم واهليكم نارا».

التربية الثانية — وبعد ذلك تكون تربية الاولاد موافقة احوال الأمة وطريقة ادارتها واحكامها لينتقش فى أفئدة الصبيان الاحساس والاصول الحسنة الجارية فى اوطانهم. مثلا اذا كانت طبيعة البلد المولود فيها الانسان عسكرية مائلة للحرب والضرب تكون تربية الاولاد الذكور

تابعة لها أصولا وفروعا وتكون تربية البنات أيضا مائلة لمحبة الشجعان والابطال وفحول الرجال ليشجعن الابناء كما هو منقول ومسطور عن نساء العرب فى الجاهلية وفى صدر الاسلام كما روى عن الخنساء بنت عمرو السلمية انها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها اربعة رجال فقالت لهم من اول الليل: « يا بني والله الذى لا اله غيره انكم لبنو رجل واحد وانكم »
« بنو امرأة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم »
« ولا غيرت نسبكم وانتم تعلمون قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا »
« وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا اصبحتم انشاء الله »
« فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على اعدائكم مستنصرين »
« فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضرمت لظى على سياجها »
« فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند اخترام خميسها تظفروا بالغنى »
« والكرامة فى دار الخلود والمقامة .» فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وشنوا الاغارة وقاتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت :« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى ان يجمعنى بهم فى مستقر رحمته.» واذا كانت المملكة زراعية او تجارية او بحرية وما اشبه ذلك كان مدار التربية الصحيحة للاولاد على ذلك

ولقد دلت التجاريب وبرهنت المشاهدات على ان الامة التى تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات احوالها يتقدم فيها ايضا التقدم والتمدن على وجه تكون به اهلا للحصول على حريتها بخلاف الأمة القاصرة التربية فان تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها. قال بعض الحكماء :« ان سمحتم لى

بتحسين التربية الزمت نفسى لكم باصلاح احوال العالم باسره.» فالتربية هى اساس الانتفاع بابناء الوطن ولذلك يجب تعويد الاطفال لا سيما ابناء الامراء والاكابر والاغنياء من الصغر على ترك الكبر والاعجاب ومحبة النفس وتكليفهم باستعمال الرفق واللين والتلطف مع غيرهم حتى لا يتجارى احد من عوام الناس وخواصهم على لومهم على افعالهم واطوارهم وحركاتهم فيلزم محو ذلك من الاطفال فى حال صغرهم بان يعتنى مربى الذكور والاناث بان يطفى من قلوبهم نار حبهم لانفسهم وحرارة حرصهم على جلب كل شئ لخاصيتهم فان حبهم للنفس بهذه الدرجة انما هو عين البغض لها لانه يجلب لهم بغض من عداهم من الاخوان. وكيف ينال السعادة من خص نفسه بالمحبة ولم يجعل لاخيه قدر حبه . وفى الحديث الشريف : «لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه.» وهذا الحديث من أعظم آداب الدين وأسسه . وكذلك يلزم تعويد الاطفال على العقائد الدينية التى تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فيعظمون الفضيلة فى أعينهم ليحبوها ويتمسكوا بها ويحطون بالرذيلة ليفروا منها ويستقبحوها ويعودونهم على النظافة والترتيب والاقتصاد ويحضونهم على مكارم الاخلاق قليلها وجليلها بان يحسنوا لهم الصدق والوفاء والامانة والعفة والصيانة وشرف النفس وتوقير الكبير واحترام الصغير واجتناب الهزل واساءة الأدب والفحش فى القول والفعل وبر الوالدين والانقياد لامرهما بالسمع والطاعة والدعاء لهما وتقبيل ايديهما عند الدخول اليهما لترسخ كل هذه الصفات والفضائل فى انفسهم وتنتقش فى قلوبهم فلن ينسوها بعد ذلك ما دام المرء

يشيب على ما شب عليه . ومن المعلوم أن كل ما يصدر عن الاطفال فى كبرهم من خدم جليلة وصناعات جميلة ومساع خيرية ومنافع اجتماعية ليس الا اظهارا للمبادئ التى انطبقت فى ذهنهم من تعاليمهم المنزلية حالة صغرهم ومما تلقوه من مرشدهم فنمت مع نموهم. فان كانت هذه التعاليم ليست مؤسسة على قاعدة علمية صحيحة كانت سبب تعاسة كبرى قل ان يخلص منها الطفل او يقاومها بالدراسات الثانوية بعد نمو مجموع قواه الجسمية والعقلية. ومع تعويدهم على ذلك ينبغى ان يقبح فى نظر الاولاد بالفعل وبالقول كل ما يضاد هذه الصفات بان يمثلوا لهم حالة الكذاب الخداع المنافق الحسود الكنود المرائى فى دينه ودنياه اشنع تمثيل فان الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة. ويلزم تقوية صفة الحياء فى الاولاد وهم صغار فيشبون ويشيبون عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «ان شر الناس عند الله من خافه الناس اتقاء فحشه.» وروى البخارى عن ابن مسعود قال: «قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت.» فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى . ولذلك نكرر انه يجب على من يربى البنات ويتعهد شؤونهن ان يتركهن على حيائهن الذى هو زينتهن فلا تمسه التربية بمحو ولا تخفيف وان لا يجتهد احد فى إلهام الشجاعة لهن . وكذلك ما اشتملن عليه عادة من الخوف والوجل مما ينبغى محوه من الذكور فلا بأس بابقائه فى النساء فانهن غير مخلوقات لان يحزن شجاعة الرجال كما قدمنا

وكان اهل سبارطه يربون اولادهم على طرف المملكة وكانوا يعودونهم

على عدم الخوف من ظلام الليل وعلى عدم الكآبة والتشكى الا لحاجة لازمة وكانوا اذا بلغ الطفل سبع سنين امروا المعلم ان يعلمه التعود على الاشغال والتجلد والمشاق والمبادرة فى الطاعة وكان المعلمون يسوون بين سائر الاولاد فى التعليم بالمكاتب العمومية بلا تمييز لاحد منهم بتعليم شئ وتقديمه على آخر بل يعلمون الكل مع بعضهم بطريقة واحدة لانهم مستوون فى القيام بواجبات المملكة . وكانوا يجعلون من ظهرت نجابته فى التعليم رئيسا على من عداه ممن لم تظهر له نجابة فيحكم الانجب فيمن عداه منهم بملاحظة الشيوخ ليرد الشيوخ من اخطأ فى حكمه منهم الى الصواب ويجب تأديبه على ذلك بما يليق بخطئه من العقاب . وكانت طريقة تعليم الاولاد التفاهم والتخاطب عندهم هى ان الآباء كانوا اذا اجتمعوا على مائدة عمومية يحضرون معهم اولادهم ليغتنموا فائدة مجاورة تلك المجالس وكانوا يسألونهم عن بعض أشياء مهمة فيقولون للواحد منهم ما رأيك فى هذا الشئ او فى هذا الرجل ويحملونهم على رد الجواب بسرعة مع الاختصار وادب الكلام

وكان هذا هو السبب الاعظم فى كثرة فحول الرجال وكبراء الابطال فى بلاد اليونان وكذلك فى مدينة (أثينه) كانوا يعتنون بتعليم الاولاد لعلمهم ان بقاء عز المملكة انما يكون بذلك ويحثون على الاستقلال بالحرف والصنائع وكل من يثبت عليه من اهالى المدينة أنه لم يتعاط حرفة وصنعة واتهم بذلك ثلاث مرات فانه يفضح على رؤوس الاشهاد كما كان يفضح كل ولد يسرف فى امواله او يحرم ابويه من القوت الا اذا كانا لم يعلماه

صنعة فانه كان لا عقاب عليه بذلك

وكان من احكام هذه المدينة انه لا يجب على المرأة ان تجهز لزوجها عند الابتناء بها باكثر من ثلاثة أثواب وامتعة قليلة الثمن خوفا على اهلها من الفقر وان من اجتمع بغير زوجته وعاشرها او خالط النساء المتبرجات لا يكون من ارباب مشورة المدينة لانه لا يؤتمن على مصلحة الاهالى وان من سكر من ارباب مشورة المدينة فعقا به القتل. فبهذا صارت تربية عموم اليونان كاملة فاضلة فى اغلب الازمان .

ذلك كان حال التربية عند الاقوام الذين خلوا وكانت سببا فى رفعتهم وعزتهم ومنعتهم فقل لى بأبيك هل أتت بشئ اعظم مما يدعو اليه القرآن الشريف والشريعة السمحاء : أيوجد أمة احسن ممن تهذبت اخلاق ابنائها على ما وردت به تلك الشريعة الغراء : كلا — اللهم كلا — هذا وجميع هذه التعاليم والتدريبات التى اشرنا اليها هى المسماة بالدروس الاولية للطفل والتى يجب تلقينها له سواء كان ذكرا او انثى بواسطة الامهات والآباء والاقارب والاصدقاء المرشدين الذين هم اساتذة هذه المدارس المنزلية . هذه الدروس هى الاساس الأقوم والمبدأ المحكم للتربية والواسطة الوحيدة لجعل الطفل مستعدا لان يتلقى دروسا أعلى وبدون هذا الاساس لا يمكن التحصل على الثمرة المقصودة من الطفل اللازمة لذاته وعشيرته لانه بدونه لا يكون تهذيبه فيما بعد ممكنا بل تكون كل التعاليم التى تلقى اليه صورية لا تؤثر على وجدانه بشئ مهما اجهد النفس فى تعديلها لان الطبع يغلب التطبع .

ولا جدال فى أن اهمالنا هذه التربية الاولية هو السبب الاصلى فى تقهقرنا

ويلزمنا ان ننوه هنا ان لا تربية تصلح الا اذا كان القائم بها مرشدا كان او مربيا من اهل واقارب ومراضع او معلما متخلقا بالاخلاق التى يراد تطبيع الاولاد عليها حتى يكونوا قدوة حسنة لهم بهم يقتدون وعلى منوالهم ينسجون . وبخلاف ذلك لا يمكن ولا يؤمل ان تحصل فائدة اذ القدوة السيئة تؤثر تأثيرها على النفوس وتسيء اخلاق الاولاد منذ صغرهم فيشبون على ذلك ويفسدون . وهناك الطامة الكبرى حيث لا يفيد دواء ويعظم الداء . ومن هذا عرفنا ما يجب على الأم ان تكون متصفة به من الاخلاق لتحسن تربية اولادها فان الام ان لم تتذرع هى أيضا بأصول التربية ولم تتحل بمكارم الاخلاق يشب طفلها عديم المنفعة ساقط المنزلة ويعيش طول عمره ككرة يلعب بها من هو أقوى منه ويموت غير مأسوف عليه . وليس من ينكر انه وإن كان الأب هو صاحب التأثير المهم والأولى فى التربية فان الأم كذلك هى الحجر الاساسى للعائلة ففى امكانها ان تضم افرادها أو تشتتهم وذلك تبعا لاميالها التى اكتسبتها من معلوماتها اثناء صغرها

التربية الثالثة — التعليم — لا اظن انه يوجد احد يكره ان تحسن حالة بيته ولا ان لا يساعد ويعين على ما يوجب هذا التحسين. ولكن كل من يشاهد ما نحن عليه من الآداب وكيفية التعليم الناقص الغير ملائم لمصلحة الأمة الذى يتعلمه البنون والبنات الآن فانه ولا شك يفضل الجهالة التامة على ذلك التعليم الصورى الكثيرة مضاره المعدوم المنافع .

فاذا تهذبت اخلاق الاولاد بالآداب الصحيحة كما قدمنا فليس من يقول بعدم تعليم البنت ما يساعدها على زيادة تحسين حال بيتها وتوسيع

نطاق معارفها فيما يتعلق بواجباتها من مواد العلم الاموى حتى تصير كمعلمة صحية وعملية من غير اخراجها عن وظيفتها حيث انها ستصير اما والام هى الحجر الاساسى للعائلة كما قدمنا. والدين لم يمنع مطلقا من ذلك فحسبنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وقد كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من يعلم القراءة والكتابة من النساء للنساء

فالتعليم الذى لا بأس من ان يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آنس الانسان منهن رشدا واستعدادا له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة فى ضمن تعليم القرآن الشريف وامور الدين - لتعرف البنت مايجب عليها وما يجب لها من الحقوق والواجبات - ومبادى الحساب والهندسة والجغرافية ومختصر تاريخ بلادهن فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم .

ويجدر بنا أن ننبه هنا بوجه عام بأنه ينبغى للمرشد أو المعلم ان يرغب الاولاد فى التحصيل ويدلهم على مكانته ويصرف عنهم الهموم الشاغلة لهم ويهون عليهم مؤنته ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والغرائب وينصحهم فى الدين فبذلك تتطهر قلوبهم ويزكو علمهم ويجب عليه ايضا ان يأذن فى بعض الاوقات للاولاد باللعب ويكون لعبا جميلا غير متعب لهم ليستريحوا من كلفة الادب . وهذه الرياضة تروح النفس وتحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفى الكسل وتطرد البلادة وتبعث النشاط وتزكى النفس فان النفس تمل من الدؤوب فى الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو . قال نبينا صلى الله عليه وسلم لحنظلة : ساعة وساعه . وقال على رضى الله عنه :

روحوا القلوب فانها تمل كما تمل الابدان . وقال ايضا: سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : يا بلال روحنا .

وينبغى ان يكون لنساء هذه الاعصر فى خدمتهن لمنزلهن اقتداء بنساء النبي صلى الله عليه وسلم : فان نساء النبي كن يسعين على عيالهن ويخدمن زوجهن ويمتهن انفسهن . ولذلك يلزم ان يتعلمن شيئا من فن تدبير المنزل ومن مبادى القوانين الصحية وما يلزم النساء من الخياطة والتطريز والطبخ . الخ . قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة :« اذا « أدت المرأة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المغزل كانت كأنها » « تسبح وما دام المغزل فى يدها كانت كأنها تصلى جماعة واذا طبخت » « القدر لاجل اطفالها تساقطت ذنوبها . »

هذا ما يمكن تعليمه لهن واظن ان فيه الكفاية للقيام بوظيفتهن احسن قيام وهذه التربية هى المناسبة لوظيفتهن فاننا لو اخذنا بنتا وعلمناها القراءة والكتابة والعقائد والآداب الدينية والعبادات وطرفا من قانون الصحة وكيفية تدبير المنزل وتربية الاولاد والاشغال اليدوية . الخ . ثم قصرناها فى بيتها فيكون منزلها هو المدرسة الثانويه لهذا التعليم الابتدائى تجرى تطبيق ما تعلمته بالعمل فيه لان وظيفتها التى بيناها تقتضى جميع هذه المعارف كما لا ينكره احد وبذلك لا تنسى ما تعلمته ولا تتغير اخلاقها. وما الفائدة من تعليمها ما تنساه ولا يمكنها ان تمارسه ولا أن تعمل به فى منزلها لخروجه عن حدود وظيفتها ؟ على ان لا شئ يمنع المرأة من التوسع

فى العلوم والمعارف اذا وجدت عندها قابلية من نفسها وكان وقتها يسمح لها به . كما ان لا شئ يمنعها عند اقتضاء الحاجة من ان تتعاطى من الاعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها .

ومما يلزم تعويدهن عليه وتأديبهن على تركه الصلاة والصوم وانواع العبادات التى يأمر بها الدين اذ بخلافها يكون العلم ناقصا ولا فائدة منه ما دام يكون غير مقرون بالعمل . فاذا ربينا البنت الناشئة على هذه المبادئ وحليناها بهذه الكمالات ومنعناها من الابتذال وقوينا فيها فضيلة الحياء بالاحتجاب الذى به تمام التربية كما سترى أمكنها أن تنفع وتفيد واستطاعت ان تنصح والدتها التى لم يسبق لها دراسة وقامت بوظيفتها أحسن قيام وامتنعت اسباب الشكاية والبلاء .

أما ما يذهب اليه بعضنا من وجوب تعليم المرأة المسلمة على الطريقة الاوربية واتخاذ حالة المرأة الغربية مثالا لذلك فما يزيد احوالنا فسادا وليس ذلك لكون طبيعتنا مضادة لطبيعة الغربى ولا لأننا نحب ان نبقى على جهالتنا ولكن لأن علماء العمران فى العالمين القديم والجديد (فى اوروبا واميريكا) يرفعون عقيرتهم كل يوم منذرين قومهم — كما علمنا مما اقتطفناه ومماسنورده فى الفصل الآتى من اقوال بعضهم — بسوء العاقبة من غلواء النساء فى الحرية وخروجهن عن الدائرة التى أراد الله ان يشغلنها وما على الشرقى الذى يعتبر أن المرأة الاوربية والامريكية ملكان نزلا من سماء المدنية على ارض الحرية الا أن يقرأ ما قاله وما يقوله علماء بلادهما عنهما حتى تنشأ لديه فكرة عامة على وظيفة المرأة ومستقبلها والعاقل من اعتبر

واتعظ بغيره . قال العلامة جول سيمون: «كان الناس فى سنة ١٨٤٨ يشكون»
«من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم»
«من أن ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط . نعم لا نشك انا خرجنا من»
«تفريط الى افراط هائل .» فلنتق الله فى انفسنا واهلينا ولنقلد بروية وتدبير.
والله تعالى اعظم مسئول فى توفيق الأمور واصلاح الحال .

الفصل الثالث

الحجاب

العفة والامانة والحياء — الحجاب اعظم قائد للعفة — الحجاب شرعى يامر به الدين — دفع اعتراضات — الحجاب الحالى وما يتهددنا به — ما هو الاصلح فى حالة المرأة التحجب ام الابتذال ؟

العفة والامانة والحياء — كل من تأمل فى احكام الشرع الشريف ومبادئه وجدها تحث على الفضائل ومكارم الاخلاق وتنهى عن الرذائل ومن ضمن ماتحض عليه العفة التى هى امانة كل من الزوجين لصاحبه وهى فضيلة دقيقة تفيد ان لا يصدر من احد الزوجين مايخدش صداقته للآخر وهى لذلك ينبغى ان يحرص عليها ولو كانت عزيزة وقل من اتصف بها فى أعلى درجات كمالها فهى عصمة معنوية وهى اساس روابط الجمعية البشرية لان عقد الزواج بمجرد انتهائه رابط احد الطرفين بالاخر ومشروط فيه الأمانة ضمنا على الوجه الذى قضته الحكمة الالهية فتقصير احد الزوجين

فى تأدية حقوق الزوجية يعد مضادا للامانة الواجبة على كل من الزوجين على حد سواء . وبالنظر للعرف يقتضى ان تكون الامانة فى المرأة أوكد وان كانا مشتركين فيها وسبب ذلك ان جميع الامم على اختلاف مشاربها ونحلها قد اتفقت على ان تطالب المرأة بالصيانه والعفة وسلوك سبيل الحياء اكثر مما تطالب به الرجل. قال عليه الصلاة والسلام: الحياء حسن ولكنه من النساء احسن. وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: « ان الله اذا اراد ان يهلك عبد انزع منه الحياء » وقال صلى الله عليه وسلم: « ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء » وقال ايضا صلوات الله عليه : « ان الله يحب الحيّ الحليم ويبغض الفاجر البذى. » فلذلك وجب أن تتعود البنت من صغرها على الحياء والتخلق بهذا الخلق الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لدينه القويم كما قدمنا لأن المرأة متى خلعت ثوب الحياء فكأنها تنازلت عن سلوك سبيل العفاف والصون حيث ان خلع ثوب الحياء منها علامة قوية على نية خدش الامانة التى يترتب عليها من العواقب الوخيمة ما لا نهاية له. فان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته الربانية وضع النسل فى بطون الامهات فلا يباح للنساء هتك حرمة هذا النسب فاذا تخلت المرأة عن العصمة ربما دست فى العائلة ما ليس منها . وناهيك بما يترتب على ذلك من المضار والفساد . فاوجب العقل والنقل والشرع والطبع على الزوجين فى كل مكان وفى كل زمان ان يعيشا على الامانة التامة كما يقتضيه عقد الزواج فلذلك وجب ان يتمسك كل منهما مع غاية الدقة والانتباه بهذه الفضيلة التى يترتب عليها صون النسب فتمتنع الوساوس والشكوك والريبة فى طهارة الانساب التى

حفظها من ضروريات الدين والملك والعمران كما هو معلوم للعموم ولا يختلف فيه اثنان .

﴿ الحجاب أعظم قائد للعفة ﴾

فنظرا لما تقدم ولكون الغيرة من الايمان وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم اهتم كل الامم بما يدفع الارتياب ويريح القلب والفؤاد من الوساوس والاوهام ولم يكن ديننا القويم بالمقصر فى تبيين انجع دواء لهذه الادواء فامر بالحجاب بمعنييه (١) وتمسك به المسلمون فى كل عصورهم وبلدانهم لانه الطريق المغنى عن الغيرة ومما يوجب زيادة ائتلاف المرأة باهلها ويؤكد ارتباطها بزوجها وأمنه عليها ورضاها بحاله . كيف لا وهو بلا شك احسن وافيد ماجرب الاقوام من طرق الاحتراس للصون والعفة ولاء راحة النفس من الشكوك والارتياب فلقد دلت التجاريب على ان لا نطاق عفة يفيد ولا تربية تقوى على صد تيار القوة الشهوانية الغريزية فى الانسان ولا على رد جماحها عند الثوران مهما بلغ تهذيب المرأة فان كثرة علومها تصل الى حد التلطف والتحايل على اداء الغرض بصورة لا تنكر عليها — متى تهيأت لذلك الاسباب —

(١) جاء فى كتاب « صناجة الطرب فى تقدمات العرب » تأليف نوفل افندى بن نعمة الله جرجس نوفل الطرابلسى ما يأتي لدى كلامه على العشق فى الاعراب : « لايخفى بان اصل دواعي العشق فى البادية هو لكون نساء العرب فى الجاهلية لم يتبرقعن أصلا لان لبس البراقع للنساء هو امر حادث فى نساء الحضر اوجبته الشريعة الاسلامية منذ انزلت آية الحجاب ومن ثم أمرت بعدم تمكن الرجال من رؤية النساء »

لاالى مغالبة الفطريات والغرائز .[١]

قال حضرة احمد زكى بك سكرتير ثانى مجلس النظار فى كتابه السفر الي المؤتمر بعد ان اورد شواهد عديدة على مايقول: « ان المرأة بعدكل تهذيب أراها ضعيفة ميالة اكثر من الرجال لداعى الشهوات والتفانى فى الملاذ. فالواجب أن تكون لهن الحرية كالملح فى الطعام. فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التى يبثنها فى عقول الاطفال. »

وقال ايضاً بعد أن أورد نقلا عن بعض العلماء الالمانيين الفرق الفاحش بين خيانة المرأة الغربية والمرأة الشرقية لزوجها فى عرضه: « فاذا سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجه ذلك الالمانى[٢] رأينا أن فى التحجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة فى صيانة الاعراض. » وفى الواقع فليس من ينكر ان

(١) جاء فى جرنال فرنسا الرسمى من سنوات ان عدد الزناة فى فرنسا من الرجال واحد وسبعون فى المائة . ولا بد وان يكون العدد قد ازداد لتقدم الفساد . وجاء فى تاريخ موسهيم كيف ان كثيرين ممن بلغوا فى مجرد التربية اقصاها وفى المعارف منتهاها من اعيان الرجال والنساء استعصى جموح نفوسهم الشهوية عن الانقياد لمقتضى التربية وهوى بها الى الحضيض فيما تنزه الاسماع عن ذكره فليراجعه من أراد .

(٢) جاء فى تقويم ترويح النفوس Calendrier amusant المكتوب باللغة الفرنساوية عن سنة ١٨٩٣ ما خلاصته ان العلامة الالمانى كستنر (Kœstner) أحد اساتذة ليبسيك وصاحب التصانيف العديدة المشهورة نشر كتابا فيه ابحاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على حركة ازدياد المواليد ونقصها فى البلدان المختلفة مستندا على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج الآتية بحسب التعديل المتوسط وهي:

ان المرأة الالمانية تخون زوجها فى عرضه ٧ مرات والبلجيكية ست مرات واربعة أخماس مرة (بحسب التعديل المتوسط) والانكليزية خمس مرات والنمساوية اربع

اجتماع النساء والرجال فى مكان واحد — خصوصاً بلباس الزينة الذى يستحيل أن تخرج أو تختلط المرأة بدونه — يحدث تيار غرام كهربائى لا يقطعه الا الوصال: فان الانسان ليس فى سعته مغالبة شهواته بالوازع العقلى ولا بالوازع الدينى اذا ابيح الابتذال كما اعترف بذلك كثيرون وذهبت اقوال بعضهم مجرى الامثال. وناهيك بالمثل الالمانى القائل «يلزم ان تحفظ البنت وسط الاربعة اناجيل او وسط اربعة جدران» اشارة الى ان لا شئ يفيدها سوى الحجاب لاستحالة العمل بالشق الاول .

لذلك حافظ المسلمون على الحجاب كما قلنا وحذروا من تركه : فكان الصحابة رضى الله عنهم يسدون المنافذ والثقوب التى فى الجدران لئلا يطلع منها النساء على الرجال او الرجال على النساء . ورأى معاذ امرأته تطلع فى الكوة فضربها . وكان على كرم الله وجهه يقول : اكفف ابصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب . وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليها السلام: اى شئ خير للمرأة؛ فقالت: «ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل.» اى من الاجانب فضمها اليه وقال: «ذرية بعضها من بعض.» وقال الحسن

مرات ونصف مرة والهولاندية اربع مرات والسويدية اوالدانيمركية مرتين والطاليانية مرة وخمسة اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانيه سبعة اثمان المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة . والصربيه والبشناقيه والتى من الجبل الاسود والبلغارية ثلثى مرة . .والتركية (ويعنون بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرقيات) عشر المرة الواحدة .»اه من كتاب السفر الى المؤتمر .

رضى الله عنه : « لا تدعوا نساءكم فيزاحمن العلوج فى الاسواق : قبح الله تعالى من لا يغار. » وقال عمر رضي الله عنه : « أعروا النساء يلزمن الحجاب. » إشارة الى انهن لا يرغبن الخروج فى الهيئة الرثة . ولقد بلغ حرص الصحابة على تشديد الحجاب الى ان اجتهد بعضهم فى منع النساء حتى من الخروج الى المساجد فاتوا حيلا حببت النساء فى القعود فى منازلهن. يدل على ذلك ما روى عن عمر وعن الزبير بن العوام رضى الله عنهما فانهما لما شق عليهما خروج زوجتيهما الى المسجد للصلاة ولم يكن فى استطاعتهما منعهما عن ذلك لحديث « اذا استأذنت امرأة احدكم الى المسجد فلا يمنعها » فتعرض كل منهما لزوجته ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تراه وضربها على عجيزتها فرجعت امرأة عمر قائلة : « نعم ما رأيت فقد فسد الزمان » وقالت عاتكة امرأة الزبير لما قعدت عن الخروج وسألها زوجها ألا تخرجين يا عاتكة: « كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس واما الآن فلا . »

فهل بعد هذا دليل واثبات على أن الحجاب دافع اوهاما وارتيابا وشكوكا وحصن حصين للعفة والصيانة ؟ وهل بعد ذلك دليل واثبات على ان الصحابة كانوا يحجبون نساءهم وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحسن ذلك ويعجب به ؟ وسنورد طرفا من احاديثه الشريفة فى هذا المعنى. فهلا يكون لنا اسوة حسنة بهم جميعا وهم هداة الانام ؟ أليست هذه سنة مثلى يجب ان نسير عليها مادام فى الدنيا رجال ونساء ؟

الحجاب شرعى يأمر به الدين

اذا تقرر ذلك وعلمنا ان الحجاب من لوازم العفة والامانة والصون وان الصحابة كانوا متمسكين به ويتفانون فى تشديده لانه اصل من اصول الادب ولان المحافظة على العرض من اهم اركان مكارم الاخلاق التى بعث النبى صلى الله عليه وسلم لتتميمها وثبت ان الحجاب احصن حصن لهذه المحافظة وجب ان يكون القرآن الكريم والسنة الشريفة حاثين عليه آمرين به . ولو كان القرآن والسنة لم يأمرا بالحجاب لما تمسك به الصحابة ورضوا بمخالفتهما ولما أقر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه المخالفة لامر الله بل لما حض على استعماله الحجاب بمعنييه وهما القصر فى البيت وستر الوجه كما سترى . فلنورد اذا بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الواردة فى هذا الشأن ولننظر أأمر الله بالحجاب وحث عليه رسوله أم لا . فنقول :

قال حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة :

« لو ان فى الشريعة الاسلامية نصوصا تقضى بالحجاب على ما هو »
« معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب علىّ اجتناب البحث »
« فيه ولما كتبت حرفا يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة فى ظاهر »
« الامر لان الاوامر الالهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا مناقشة . »
« لكننا لا نجد نصا فى الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة »
« المعهودة . وانما هى عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم »

« فاستحسنوها واخذوا بها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر »
« العادات الضارة التي تمكنت فى الناس باسم الدين والدين براء منها . »
« ولذلك لا نرى مانعا من البحث فيها بل نرى من الواجب ان نلم بها »
« ونبين حكم الشريعة فى شأنها وحاجة الناس الى تغييرها » اه .

ونحن لا نلام اذا كنا نخالفه فى هذا الفكر وقلنا ان فى الشريعة نصوصا تقضى بالحجاب الشرعى ونعنى به ستر البدن باكمله وملازمة المرأة خدرها الا لضرورة . اما الحجاب الحالى فلا شك انه بدعة لم يأمر بها دين ولم يقل بها شرع ولذلك لا نرى مانعا من البحث فى تلك النصوص :

جاء فى الكتاب العزيز : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »

هذه آية جمعت فاوعت اذ أمرت الرجل والمرأة معاً بغض النظر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بان لا يبدين زينتهن الا ماظهر منها اى من الزينة لانى لست ادرى ما الداعية للتكلف فى التأويل والقول كما قال حضرة صاحب تحرير المرأة من ان الشريعة اباحت فى هذه الآية ان تظهر المرأة بعض

اعضاء من جسمها امام الاجنبي عنها مادام المعنى ظاهرا لا يحتاج لهذا التعسف.

ولقد حلت لنا هذا الاشكال السيدة عائشة رضى الله عنها وناهيك بالسيدة عائشة فانها هي التي قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم — كما يعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه — «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فقد سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت: «هي الكحل والخضاب.» أفليس هذا القول هو الفصل والحاسم لكل نزاع في هذا الموضوع؟

والا فما معنى ان تمنع المرأة من ابداء زينتها ويرخص لها بكشف الوجه؛ واذا لم يكن الوجه هو عين الفتنة واعظم زينة يجب عدم ابدائها فما هي اذا الزينة التي اشار اليها القرآن الكريم؟ جاء في البحر: «والاقرب دخول الخلقة في الزينة. واى زينة احسن من الخلقة المعتدلة»

ولم يختلف احد من الصحابة في ذلك ولا في ان المقصود من هذه الآية منع كشف الوجه بحضرة الاجانب بدليل استعمالهم الحجاب وحثهم على تشديده كما اسلفنا وبدليل فهم الآية على هذا الوجه كما سترى:

روى عن ميسون الكلابية أن معاوية دخل عليها — لانه كان زوجها — ومعه خصي فتقنعت منه. فقال هو خصي فقالت: «يا معاوية أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله تعالى؟». فلو كان كشف الوجه مباحاً ماتقنعت وما عدته حراماً حرمه الله. بل ولما اعتذر لها معاوية بانه خصي أي داخل في ظنه في ضمن أولى الأربة الذين قد يباح التكشف بحضرتهم ولما أقرها على مافعلت(١) وكان عمر يقول: القناع للحرائر. ويمنع الاماء من

(١) كان العرب لا يعرفون خصاية الانسان اصلا. وكان ذلك شائعا في الروم فلم يرد

التشبه بهن في ذلك وأخرج أبو داود والنسائي عن عائشة انها قالت: « اومأت امرأة من وراء ستر بيدها كتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبض صلى الله عليه وسلم يده فقال ما أدري أيد رجل أم يد امرأة فقالت بل يد امرأة فقال: لو كنت امرأة لغيرت اظفارك » يعني بالحناء. فهلا يؤخذ من هذا أن النساء كن يتبرقعن وكن يتسترن حتى على النبي؛ وهلا قول علي: «واكفف ابصارهن بالحجاب» أعظم دليل على أن المراد بغض الابصار لزوم الحجاب؟

وهل يفهم لذلك معنى سوى ان جميع الصحابة كانو فاهمين أن النساء مأمورات بالتقنع وانهم كانوا حريصين على تنفيذ ذلك الأمر؛ أليس اذا أشكل أمر يرجع الى القرآن والسنة أو الاجماع؛ وهذا هو القرآن أمر بالحجاب بهذه الآية وبما سترى من الآيات. وهذه هي السنة حائمة عليه كما رأيت وكما سترى. واجماع الصحابة متفق عليه كما رأيت. واذا نظرنا

في الشرع نص في استعمال الخصيان الاستعمال الذي كان عليه بعض العائلات الكبيرة لعهد غير بعيد انما كان امر استعمال الخصيان من الامور الاجتهادية قياسا على غير أولي الأربة الذين اباح الله في الآية السابقة ابداء الزينة امامهم. والأربة هي حاجة الرجال الى النساء. وكان معاوية في عهد خلافته اول من رأى هذا وجعله مذهباً اجتهاديا. فلما اقتنى خصيا واراد ان يدخله على بعض نسائه كما تقدم امتنعت من ذلك فاحتج بكونه خصيا فقالت له ان المثلة به لم تحل منه ماحرم الله. ولم ير غيره من اهل الاجتهاد جواز ذلك فكان استعمال الناس للخصيان تقليدا لمذهب معاوية الذي هو من الشرعيات الاجتهادية دون النصية. ولقد ترتب على ذلك من الآثار المذمومة ما لو اطلع عليه معاوية لكان عساه ان يحكم بتحريمه: وليس ما نتج من استعمال الاغاوات سببا للحط من الدين فهو بدعة دخلت بلادنا كغيرها من البدع ولم تكن من عوائد المسلمين السابقة ولا اللاحقة ولم يرد بها شرع فلا ينسب الى الشرع ما خرج عن حدوده ولا يصح ان ينسب الى الدين ما حدث بالبدعة

الى العادة التي كانت جارية وقت نزول هذه الآية لوجدنا حضرة محرر المرأة نفسه يقول : ‹‹ ان الانتقاب والتبرقع هما من العادات القديمة السابقة ت[illegible]م والباقية بعده ›› فما هو وجه الاشكال اذا : هل قال ائمة الدين وعلماء المسلمين بما يخالف ذلك الاجماع وبكشف الوجه واليدين مطلقا كما يدعون عليهم : أين الدليل على هذا القول وها كم الائمة كلهم تابعون لقول الله العظيم وسنة نبيه الكريم ولم يقل أحد منهم برفع الحجاب : غاية ما قالوه جواز كشف الوجه والكفين اذا حلت ضرورة تبيح ذلك المحظور وامنت الفتنة . فيا بعد هذا القول مما يتقولون عليهم !!

ولزيادة الايضاح نقول انه لم يختلف كذلك احد من الصحابة فى أن المراد من قوله تعالى : ‹‹ الا ما ظهر منها ›› ليس هو الا الزينة بدليل انهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة ولو كان الامر بخلاف ذلك وكان القصد استثناء بعض اعضاء كما يزعمون لسألوها عن الاعضاء التي لا تدخل تحت حكم عدم الابداء

وجاء فى تفسير روح المعانى للعلامة الشيخ الالوسى : « ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها » اى الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا مؤاخذة فى ابدائه للاجانب وانما المؤاخذة فى ابداء ما خفى من الزينة كالسوار والدملج والقلادة والخلخال والاكليل والوشاح والقرط . وذكر الزين دون مواقعها للمبالغة فى الامر بالتستر لان هذه الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها الا لمن استثنى فى الآية بعد » وقال ابن المنير

وهو مالكي مشهور : « الزينة على حقيقتها وما يأتي انشاء الله تعالى من قوله عز وجل : ,, ولا يضربن بارجلهن الآية ,, يحقق ان ابداء الزينة مقصود بالنهي . وايضا لوكان المراد من الزينة موقعها لازم ان يحل للاجانب النظر الى ما ظهر من مواقع الزين الظاهرة وهذا باطل : لان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة . »

وروى الطبراني والحاكم وصححه ابن المنذر وجمع آخرون عن ابن مسعود ان ,, ماظهر ,, الثياب والجلباب وفي رواية الاقتصار على الثياب وعليها اقتصر الامام احمد . وقد جاء اطلاق الزينة عليها في قوله تعالى ,, خذوا زينتكم عند كل مسجد ,, على ما في البحر . وروى عن ابن عباس ان ما ظهر الكحل والخاتم والقرط والقلادة . وعن الحسن انه الخاتم والسوار وقال ابن بحر : « الزينة تقع على محاسن الخلق التي فعلها الله تعالى وعلى ما يتزين به من فضل لباس والمراد في الآية النهي عن ابداء ذلك لمن ليس بمحرم واستثنى ما لم يمكن اخفاؤه في بعض الاوقات » وقال بعض المفسرين : « إن قوله تعالى ,, ما ظهر منها " اى من غير اظهار بأن كشفته ريح او لضرورة

هذا وهل يمكن باختلاط الرجال مع النساء وكشف وجوههن غض بصر الرجل عن المرأة وبالعكس كما هو صريح هذه الآية الشريفة؛ أليست مبادئ ميل الانسان الى الشهوات انما هي الاجتماع . والميل للشئ لا يكون لا بعد رؤيته والرؤية كما اجمع العقلاء سبب التعلق والفتنة ؛ أليس وجوب

النض المأمور به فى هذه الآية يوجب حرمة الاختلاط لاستحالة الاختلاط مع غض النظر : اما تدل هذه الآية على طلب المبالغة فى الاحتياط فى أمر النساء وعلى ان الاحوط لهن لزوم البيت الذى هو محل شغلهن والتباعد عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم لعدم الضرورة لذلك وتباعدهن عن الحضور فى المجتمعات والهيآت : ألم تدل التجاريب على انه متى تأثرت العين بنقل الصورة وصلت الحركة الاستحسانية الى المخ فى اسرع وقت وهو يردها الى الاعضاء هياما وثورة غرام : جاء فى بعض الآثار: أن النظر سهم مسموم من سهام ابليس . وقال الالوسى فى تفسير قوله تعالى ,, ذلك ازكى لهم ,, : « أى أطهر من دنس الريبة وأنفع من حيث الدين والدنيا فان النظر بريد الزنا وفيه من المضار الدينية والدنيوية ما لا يخفى » قال الشاعر :

والمرء ما دام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته * لا مرحبا بانتفاع جاء بالضرر

واسنا نتكلف ايراد دليل على ذلك اعظم مما ذكر فى اسباب نزول هذه الآية فان سبب الواقعة التى ترتب عليها نزولها كان الفتنة من النظر الى محاسن امرأة فى الطريق فافتتن الرجل واختبل فى فكره وعقله وسيره حتى اختبط فى حائط وهو لايدرى ماذا يفعل ولا يعي وسال دمه كما ترى:

اخرج ابن مردويه عن على كرم الله وجهه قال : « مر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق من طرقات المدينة فنظر الى امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان انه لم ينظر احدهما للآخر الا

اعجابا به فبينما الرجل يمشي الى جنب حائط وهو ينظر اليها اذ استقبله الحائط فشق انفه فقال : والله لا اغسل الدم حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره أمري. فاتاه فقص عليه قصته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هذا عقوبة ذنبك . وانزل الله تعالى هذه الآية . » فامر الرجال بغض الابصار وبحفظ فروجهم وأمر النساء بذلك وبشيء آخر ازيد منه: وهو ستر الزينة والمحاسن وعدم إبدائها حتى لا يود احد يفتتن بهن . ومن هذا لزم ستر وجه المرأة لانه داعية الفتنة كما قدمنا .

ولو كان المراد من هذه الآية اظهار بعض اعضاء وهي الوجه والكفان بدون قيد ولا ضرورة فبم نفسر قوله تعالى : «والقواعد من النساء اللآتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم . » جاء في تفسير روح المعاني: « اي ان استعفافهن خير لهن من الوضع لبعده من التهمة فلكل ساقطة لاقطة » وجاء فيه ايضا ان المراد : بثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار [١]

فهذه آية دلت على وجوب الستر والاحتجاب على الكواعب وأباحت للقواعد ان يرفعن قناعهن ان اردن وان يكن التستر وعدم رفع ذلك خيرا لهن واسلم وابعد للتهمة

[١] اخرج ابن المنذر عن ميمون بن مهران انه قال في مصحف ابي بن كعب ومصحف ابن مسعود : « فليس عليهن جناح ان يضعن جلابيبهن . » واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما انهما كانا يقرآن كذلك ولعله لذلك اقتصر البعض في تفسير الثياب على الجلباب .

على أنه اذا كان وجههن وايديهن مكشوفة من الاصل فماذا يمكن أن يباح لهن ازيد من ذلك ؟ هل يمكن ان يقال ان الله امرهن بابداء باقى بدنهن وجسمهن ؟ اللهم ان هذا تضليل ومغالطة لا يرضيانك !

هذا وحرصا على الحجاب وحثا على وجوبه وتشديده قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم . واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن » أى اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية التى تخطر للرجال فى أمر النساء والنساء فى أمر الرجال لما يترتب على الرؤية من التعلق والفتنة كما اسلفنا القول . وقال ايضا : « يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض . وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فهذه آيات تفيد جميعها ان الله سبحانه وتعالى أمر بالحجاب بمعانيه كلها وانها وان كان المخاطب بها نساء النبي لكن المقصود منها بلا شك أمر نساء المؤمنين كلهن بهذا الحكم تبعا لهن. لانها انما تأمر بآداب والادب مطلوب للجميع . قال ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : « هذه آداب أمر الله بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن فى ذلك » ولا شك ان هذا من باب الخصوص الذى يقصد منه العموم وهى قاعدة أصولية اتفق عليها فحول علماء الاصول فقالوا « ان العبرة فى آى الكتاب واخبار السنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب »

ولا يعتد بقول من يقول ان هذه الآيات خاصة بنساء النبي

ولا تنطبق على غيرهن بدليل قوله تعالى « لستن كاحد من النساء » اذ لماذا لا نقول ان الحجاب كان معروفا مستعملا عند جميع نساء المسلمين كما ثبت مما قدمنا ولم يكن غير محتجب الا نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن معتبرات امهات المؤمنين بقوله تعالى: «وازواجه امهاتهم» ولا موجب للأم ان تحتجب على ابنها فظنن انهن لذلك غير داخلات فى حكم ذلك المنع والاحتجاب. فاراد الله سبحانه وتعالى ان يبين لهن ان الحجاب واجب عليهن أيضا لانهن لسن كاحد من النساء فى الثواب والعقاب بل يضاعف لهن كل من ذلك لعلو مقامهن ومكانتهن: قال الله تعالى: « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف له العذاب ضعفين ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » قال فى ذلك ابن عباس رضى الله عنه: « يريد ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات: أنتن اكرم علىّ وثوابكن اعظم لدىّ ان اتقيتن الله فاطعنه فان الاكرم عند الله الأتقى »

ولعمرى ليس فى ذلك شئ من الغرابة: أليس العمل الواحد يعمله شخص فيعاقب عليه عقوبة خفيفة ويعمله الآخر فيضاعف عقابه؟ اليس من اصول التشريع ان التعذير يختلف باختلاف درجات الانسان؟ أليس البعض يضرب بالعصا والبعض تكفيه الاشارة؟ والا فما معنى ان نساء النبي المعتبرات كما قلنا امهات المؤمنين فلا يجوز النظر اليهن ولا التطلع لهن يؤمرن بالاحتجاب عن اولادهن وغيرهن ممن يطمع فيهن لا يؤمرن به؟

ولو اضفنا الى ما تقدم ايراده من الاحاديث واخبار الصحابة واقوالهم قول عائشة رضى الله نساء عنها :« رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن فى الدين » لزال كل شك وارتفع كل التباس وعلمنا ان جميع النساء كن مأمورات بالحجاب عاملات به . وهذا ما يستفاد ايضا من اسباب نزول آية الحجاب : اخرج البخارى وابن جرير وابن مردويه عن انس رضى الله عنه قال :« قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله يدخل عليك البار والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب . فانزل الله تعالى آية الحجاب . واخرج ابن جرير عن عائشة :« ان ازواج النبى عليه الصلاة والسلام كن يخرجن بالليل اذا برزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول للنبى :احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل انتظارا لامر ربه والا فهو كان اشد غيرة كما تدل على ذلك احاديثه الشريفة — فخرجت سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر رضى الله تعالى عنه بصوته الاعلى: قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله تعالى آية الحجاب . » وفى مجمع البيان للطبرى :« ان مجاهدا روى عن عائشة انها كانت تأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسيا فى قعب فمر عمر فدعاه عليه الصلاة والسلام فاكل فاصابت اصبعه اصبع عائشة فقال: لو اطاع فيكن ما رأتكن عين . فنزلت آية الحجاب . »

ولا يبعد ان يكون مجموع ما ذكر سببا لنزوله . ومنه يستفاد ان الحجاب كان معهودا واجبا على نساء المؤمنين ولم يكن ينقص الا ان

تحجب نساء النبي. والا فلماذا كان حرص عمر لهذا الحد بخصوص امهات المؤمنين وترك نسائه وباقى النساء؟ أما كان الأولى به ان يبدأ بنفسه خصوصا وشدة غيرته مشهورة معلومة؟

وفضلا على ذلك فان فى قوله تعالى : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » اشارة لطيفة الى ان هذه العادة : عادة التبرج وهو الظهور وعدم التستر — انما كانت عادة الجاهلية الاولى التى لاشرع لها واندثرت بزوال تلك العصور — عصور الجاهلية والهمجية والتوحش — فلم يعد يليق الرجوع اليها فى زمن التمدن الحقيقى وقد بزغ نور الاسلام. ولو كان المقصود احتجاب نساء النبي فقط دون باقى النساء لكان التبرج باقيا ولما صح ان يقال عنه: « تبرج الجاهلية الاولى » بل كان الاقرب ان يقال: « ولاتبرجن تبرج باقى النساء لانكن لستن كاحد منهن »

هذا وقوله تعالى : « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفور رحيما » قد ازال كل التباس ان كان هناك وجه للالتباس وجاء متمما للحكم بستر المرأة جميع بدنها وتعميم هذا الحكم على جميع النساء فى جميع الاوقات ليلا ونهارا .

وفى الواقع أليس معنى ذلك ان نساء المؤمنين عامة أمرن بأن يدنين وجوههن التى يعرفن بها ؟ واى شئ يعرف الانسان به غير وجهه ؟ قال عمر رضى الله عنه : « القناع للحرائر لكيلا يؤذين » وقال السدى فى اسباب النزول : « كانت المدينة ضيقة المنازل وكان النساء اذا كان الليل

خرجن فقضين الحاجة وكان فساق المدينة يخرجون فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمة فكانوا يراودونها فانزل الله تعالى هذه الآية » الا يفهم من ذلك ان القناع كان مستعملا لدى الخروج نهاراً وان بعضهن كن يخرجن بدونه فى جنح الظلام لقضاء حاجتهن ظنا منهن ان لهن من ظلام الليل وحلكته حجابا آخر يغنيهن عنه فخاب ظنهن وتطاول الاشرار عليهن فشدد الله تعالى فى الامر بالتستر وبأن لا يرفعن الحجاب متى برزن من خدورهن ليلا كان او نهارا لما فى ذلك من زيادة الصون والحرص على الآداب .

ولقد اتفق اغلب المفسرين على ان المراد من ذلك وجوب ستر المرأة رأسها ووجهها وجميع بدنها بحيث لا يظهر منها الا عينا واحدة وقيل عيناها . قال ابن عباس فى ذلك : « أمر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة » . وقال ابو حيان : « اى ذلك اولى ان يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن احد ولا يلقين بما يكرهن . لان المرأة اذا كانت فى غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها احد بخلاف المتبرجة فانه مطموع فيها » وعن ام سلمة قالت : « لما نزلت هذه الآية — يدنين عليهن من جلابيبهن — خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن ألبسة سود يلبسنها »

والاحاديث الشريفة على وجوب الحجاب بمعنيه كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يأتى : اخرج ابوداود والترمذى وصححه والنسائى والبيهقى فى سننه عن أم سلمة : « انها بينما كانت هى وميمونة عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم اقبل ابن أم كلثوم فدخل عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت أم سلمة : يا رسول الله هو اعمى لا يبصر فقال : افعمياوان انتما ؟ الستما تبصرانه ؟ » واستدل به من قال بحرمة نظر المرأة الى شئ من الرجل الاجنبي مطلقا .

واخرج الترمذى والبزار عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان واقرب ماتكون من رحمة ربها وهى فى قعر بيتها » واخرج البزار عن انس قال : « جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يارسول الله ذهبت الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فهل لنا من عمل ندرك به فضل المجاهدين ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : من قعدت منكن فى بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى »

على ان الشرع قد صرح للنساء بالخروج فى احوال مخصوصة عند الضرورة كخروجهن للمسجد والحج وزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الاقارب وغير ذلك بشروط مذكورة فى محلها . والمراد ان لا يكن خراجات ولاّجات طوّافات فى الطرق والاسواق وبيوت الناس بدون ضرورة ولا حاجة وبيتهن اولى بهن واحوج لهن . وهذا لا ينافى خروجهن لما فيه مصلحة دينية ولا ان يخرجن لحاجتهن مع التستر وعدم الابتذال برضا ازواجهن وان يكن القعود اسلم . قال عليه الصلاة والسلام : « ليس للنساء نصيب فى الخروج الا مضطرة . » وقالت عائشة : « لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج » فاذا كان هذا حال

النساء فى ذلك الوقت فكيف حالهن اليوم الذى كثرت فيه المفاسد بفضل الحرية الواسعة والابتذال ولا رادع من حاكم ولا من دين ؟

والاحاديث كثيرة على ان صلاة المرأة فى بيتها خير من صلاتها فى المسجد مبالغة فى سترها وعلى ان الاجدر بها ملازمة البيوت وعدم الخروج منها خصوصا والرجل متكفل بقوتها ومصروفها . وكذلك الشرع أباح للمرأة الاختلاط مع محارمها وهم غير قابلين وحرم عليها الاختلاط مع اجنبى والخلوة به : روى البخارى عن ابن عباس رضوان الله عليهما قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلون رجل الا مع ذى محرم » وقال: « والذى نفسى بيده ماخلا رجل بامرأة الا دخل الشيطان بينهما . ولان يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين وحماة خير له من ان يزحم منكبيه منكب امرأة لا تحل له »

﴿ دفع اعتراضات ﴾

يقول حضرة محرر المرأة ان فى كتاب الروض فى المذهب الشافعى نظر الوجه والكعبين عند أمن الفتنة من الرجل للمرأة وعكسه جائز وهو قول مرجوح كما يظهر مما يأتى :

جاء فى الزواجر فى مذهب الشافعى : « الوجه والكفان ظهرهما وبطنهما الى الكوعين عورة فى النظر من المرأة ولو أمة على الاصح وان كانا ليسا عورة من الحرة فى الصلاة . »

وذكر فى الزواجر ايضا : « حرمة سائر ما انفصل من المرأة لان رؤية

البعض ربما جر الى رؤية الكل فكان اللائق حرمة نظره ايضا بل قال : حرم أئمتنا النظر لقلامة ظفر المرأة المنفصلة ولو من يدها »

وجاء فى تفسير روح المعانى مايأتى :

« وذهب بعض الشافعية الى حل النظر الى الوجه والكف ان أمنت الفتنة وليس بمعول عليه عندهم . وفسر بعض اجلتهم « ما ظهر » بالوجه والكفين بعد ان ساق الآية دليلا على ان عورة الحرة ما سواهما وعلل حرمة نظرهما بمظنة الفتنة فدل ذلك على انه ليس كل مايحرم نظره عورة وانت تعلم ان اباحة ابداء الوجه والكفين حسبما تقتضيه الآية عندهم مع القول بحرمة النظر اليهما مطلقا فى غاية البعد فتأمل »

وجاء فى المنهج ما ملخصه انه يحرم نظر نحو فحل ولو مراهقا شيئا من كبيرة اجنبية ولو امة وأمن الفتنة الا لحاجة مع أمن الفتنة

ولسنا ندرى لماذا اخذ حضرة صاحب تحرير المرأة بالقول المرجوح من مذهب الشافعى وترك القول الراجح الذى عليه المعول عندهم . بل ولماذا نسب الى ابن عابدين اباحة كشف الوجه والكفين امام الاجنبى مطلقا بلا قيد مع ان ماذكره ابن عابدين يفيد الاباحة عند الضرورات ومع أمن الفتنة والكل مسلم بان الضرورات تبيح المحظورات .[١]

(١) جاء فى كتاب الجليس الانيس فى التحذير عما فى تحرير المرأة من التلبيس فى هذا الخصوص مايأتى ملخصا : هذه (اي العبارة التى جاءت بكتاب تحرير المرأة عن ابن عابدين) ليست عبارة ابن عابدين وانما هى عبارة شرح التنوير فان هذه العبارة التى نقلها لاتعلق لها بما نحن فيه ولامساس لها بالموضوع فانها متعلقة بالصلاة وشروطها والموضوع ستر المرأة عن الاجانب . نعم ماذكره من قوله وتمنع الشابة

وكذلك ما جاء فى شرح الدليل لمذهب الحنابلة يفيد ان نظر الرجل البالغ ولو مجبوبا لشئ ما من الحرة التى تشتهى لا يجوز الا لضرورة. ويدحض ما قاله حضرة محرر المرأة من ان حكم كشف الوجه والكفين معروف كذلك عند المالكية والحنابله. وكذلك ما نقله حضرته عن الزيلعى فهو فى حق الصلاة

وكأنى بمن يقول بجواز النظر لوجه المرأة عند أمن الفتنة قضى بتحريم ذلك على الاطلاق فى قالب الاباحة لانه علق ذلك على امر مستحيل خصوصا فى هذه الايام — مهما كان نصراء الابتذال واحسنوا الظن فى احوال هذا الزمان — وهو أمن الفتنة. فليس من ينكر ان الرؤية سبب التعلق وان للانسان النظرة الاولى وليس له الثانية: يدل على ذلك امر الله سبحانه وتعالى لكل من الرجل والمرأة بغض البصر اجتنابا لما يترتب على النظر من الفتنة فمن حام حول الحمى او شك ان يقع فيه.

وأما سؤاله: «لماذا اختص النساء بالاحتجاب والتبرقع ولم لم تتبرقع الرجال لان كليهما مأمور بغض الابصار». فهو قول مردود ايضا لان من تأمل لهذه الآية الشريفة وجدها كما اسلفنا القول تطالب الرجال بامرين: هما غض البصر وحفظ الفرج وتطالب النساء بذلك كله وبأمر ثالث هو

من كشف الوجه وكتب عليه ابن عابدين اي تنهى عنه لهمساس بما نحن فيه لكنه شاهد عليه لاله. ولو انصف لنقل من الدر وحاشية ابن عابدين ما يناسب الموضوع المذكور فى باب الحظر والاباحة. وعبارة الدر هنالك: وينظر من الاجنبية ولو كافرة الى وجهها وكفيها فقط للضرورة قيل والقدم والذراع اذا اجرت نفسها للخبز.

عدم ابداء الزينة والمحاسن بسترها بالحجاب والبرقع كما قدمنا . وهذا أمر أنفردن هن به ولم يشترك معهن فيه الرجال ومن ذلك يعلم السر فى أن النساء كلفن بالحجاب والتبرقع دون الرجال ولله فى أموره حكم .

وزيادة على ذلك فانه لما كان لكل من الزوجين وظيفة مخصوصة كما قدمنا وكانت وظيفة الرجل خارج بيته للسعى على معاشه ومعاش اهله ولعمار الدنيا بنحو الفلاحة والتجارة والصناعة الخ ووظيفة المرأة منزلية داخل البيت وخروجها استثناء لضرورة فتكليفها بالتبرقع اقل ضررا ممن الاصل فى خلقته بمقتضى الحكمة الالهية وجوده خارج بيته . فضلا على ان أغلب الفتنة من النساء لانه قد اقتضت حكمة الله تعالى ان خلق النساء والرجال من نفس واحدة ليسكن بعضهم الى بعض ومع ذلك جعل النساء رأس الشهوات فى قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . » وذلك لتقدم النساء فى قلوب الرجال على جميعها وكانت عائشة رضى تعالى عنها تقول : « من شقوتنا ان الله تعالى قدمنا حين ذكر الشهوات ». وروى البخارى عن اسامة بن زيد قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تركت فتنة بعدى اضر على الرجال من النساء ».

يقول نصراء الابتذال ان فى الاختلاط فوائد ومزايا وانه بمجرد تعليم البنت ما هى العفة ومزاياها تتعفف ويؤمن عليها من الاختلاط والخروج والدخول فنقول : هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فان النفس ميالة بالطبع الى الشهوات اشد الميل ولا علم ولا تربية تقوى على صد تيار هوى الانسان

وشهواته اذا تهيأت اسبابه كما دلت عليه الشواهد العديدة فاحتجاب النساء كما تستدعيه وظيفتهن مما يجعل التربية تؤثر تأثيرها الحسن وهو احفظ لحرمتهن واسلم لشرف الرجل لما فى الاطلاق من الذهاب بعفتهن كما دلت عليه المشاهدات وكما يستفاد من اقوال علماء التمدن الحالى.

ولا شك ان السبب فى افراط بعض النساء المتمدنات وخروجهن عن حدودهن الطبيعية وسوء نتيجة التربية عندهن هو اختلاطهن بالرجال وعدم احتجابهن . اذ لو كان الحجاب مقررا عندهن قبل هذا الغلو الذى وقعن فيه لأثرت فيهن التربية تأثيرا حسنا كما قلنا ولما انتهت بهن الى هذه الحالة التى لا يستحسنها عاقل : فهذه بعض نساء الشرق الفلاحات اللاتى يجتمعن بالرجال اجتماعا ما صدفة او لغرض صحيح لما لم تبح لهم محادثة الشبان ومغازلة الغلمان ومخاصرة الفتيان ندر فيهن ترك العفة لعدم توفر الدواعى . فالعفيفة فى نساء الغرب مع هذا الاختلاط الكلى حكيمة قاهرة لفطرتها دائمة الحرب بين لذتها وشرفها .

وزد على ذلك ما يترتب على الاختلاط من المضار التى ربما جرت الى خراب البيت وتشتيت العائلة فان المرأة اذا كانت تنظر لغير زوجها فى جميع الاوقات وتطلع على معائش الناس مع اختلاف الحالات فان ذلك قد يحرك عندها الشهوات ويجدد لها لوازم ربما اوقعت بينها وبين زوجها المنازعات والمخاصمات فيؤول الامر الى الفرقة وخراب البيت . وكذلك لا يعود من الاختلاط سوى تضررها بزوجها او تضرر زوجها بها لانه لو فرض ان زوجها فقير او متقدم فى السن واجتمعت بمن هو اغنى منه

او اصغر لبطرت معيشة زوجها وكرهت الاقامة معه وكذلك الزوج ربما عرضت له خواطر نفسية باجتماعها على اغنى منه او اصغر فيؤول الامر كذلك الى الفرقة وخراب المنزل. وكما ان الرجل لا تسمح نفسه برؤية غيره لحرمه فكذلك المرأة لا تسمح نفسها برؤية غيرها لزوجها اذ النساء اشد غيرة من الرجال كما هو معلوم . كل هذه امور مؤيدة بالتجاريب الصادقة وبالمشاهدات الحسية وليس بعد الحس دليل. ولسنا نظن ان احدا ممن يخالطون العائلات غير المحتجبات ينكر ذلك .

يقول حضرة محرر المرأة ان البرقع والنقاب غير معروفين فى الاسلام وهذا قول يدفعه ما جاء فى نفس كتاب تحرير المرأة من ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب . وهل لذلك معنى سوى ان النقاب كان موجودا ومعروفا وانه كان معمولا به وواجبا وكان النساء يستعملنه حتى فى وقت الاحرام فنهاهن النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى هذه الحالة فقط ؛ يدل على استعمال النســاء اياه ما تقدم من الاخبار والاقوال وقول عمر رضى الله عنه لجارية رآها مقنعة : «الق القناع لا تتشبهى بالحرائر » وقوله لاخرى : « يالكعاء اتتشبهين بالحرائر » وقوله : « القناع للحرائر كيلا يؤذين ». واذا سلمنا بان البرقع والنقاب كانا من العوائد القديمة السابقة على الاسلام والباقية بعده كما يقول حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة فكيف امكنه ان يوفق بين هذا القول وبين ما قاله عند تفسير قوله تعالى : « الا ما ظهر منها » اى ما كان النســاء متعودات على اظهاره وقت نزول الآية وهو الوجه والكفان ؛ اليس فى ذلك تناقض لا يخفى ؛

يقول حضرة محرر المرأة ان بعض الائمة قال بجواز كشف الوجه فى احوال كالتعليم ولاداء الشهادة وللطبيب الخ . اليست هذه هى أحوال الضرورة التى علق عليها الائمة جواز رفع الحجاب ؟ ألم يجارنا حضرته بهذا القول ويسلم معنا من حيث لا يقصد بوجوب الحجاب وبانه الاصل فى الشرع ؟ أليس معنى « الجواز » ان الاصل عدم الجواز ؟

اما ما قيل عن علم عائشة فهو حجة على قائله لانها كانت محتجبة حجابا تاما بالاجماع والحجاب لم يمنعها من ان تكون بالصفة التى قالها حضرته وكذلك كان كل النساء المسلمات اللاتى نبغن وبلغن درجة من العلم والمعارف والكمال لا ينكرها احد : فكن يعلمن الرجال ويحادثنهم من وراء حجاب وان افتخر بعض كتاب وعلماء اوروبا بنسائهم وجعلوا لهن نصيبا وافرا من اعمالهم فلكم فاقتهن فى ذلك نساء مسلمات محتجبات .

فالحجاب لم يمنع وان يمنع مطلقا من تحصيل العلم الصحيح النافع ولا تدريسه لمن يردن . قالت عائشة : « رحم الله نساء الانصار لم يكن الحجاب يمنعهن ان يتفقهن فى الدين »

واذا قيل ان الحجاب هو المانع من التعليم ومن الترقى وانه الباعث على الجهالة فكيف يمكننا ان نوفق بين هذا القول وبين ما نرى عليه كثيرا من رجالنا من الجهالة العمياء والانحطاط الادبى الذى ما بعده انحطاط . هل هؤلاء ايضا سبب جهلهم الحجاب ؟ وهل افنى ثرواتهم واضاع شرفهم الحجاب ؟

ولو قيل بان بعض سيدات مسلمات فى صدر الاسلام خرجن ليتعلمن او ليعلمن فليس معنى ذلك انهن تركن الحجاب بمعنييه وخرجن

مكشوفات الوجه بل الذى يمكن ان يقال أنهن تركن احد شقيه وحافظن على الآخر .

واما ماهو منسوب الى عمر من انه دعى زوجته للأكل مع اجنبى فضلا عن كونه غير ثابت فان لنا من غيرة عمر رضي الله عنه حتى على نساء غيره ومن ادب زوجته ام كلثوم بنت فاطمة بضع الرسول ومن سيره فى بيته على ما يوافق الحجاب التام وحرصه عليه مايدفع صحة هذه الرواية

وكذلك ماروي عن عائشة من « ان اسماء بنت ابى بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فاعرض عنها وقال: يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لا يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا واشار الى وجهه وكفيه » فيكفينا لاثبات ضعفه ايراد ماجاء بكتاب حسن الاسوة نفسه عن هذا القول من أنه رواه ابو داود وقال: « هذا مرسل خالد بن دريك وهو لم يدرك عائشة : » فكيف اذا نتخذه قضية مسلمة بعد ذلك ونستشهد به خصوصا مع ما هو مشهور عن اسماء بنت ابى بكر من شدة التستر وعدم التبرج وستر الوجه حتى فى وقت الاحرام : قالت فاطمة بنت المنذر: « كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع اسماء بنت ابى بكر »

اما نساء الارياف عندنا وهن اللاتى اتخذهن حضرة صاحب تحرير المرأة حجة على مخالفة الشرع فى عدم احتجابهن ففيه نظر: لانه ليس من ينكر ان نساء الوجوه والاعيان منهن لا يخرجن من خدورهن واذا خرجن تبرقعن . واما نساء غيرهم من اهل القرى فعدم احتجاب بعضهن لضرورة مساعدة ازواجهن على اكتساب رزقهم وهذه الضرورة مما تبيح المحظور

شرعا وداخلة فى مايمكن اباحته استثناء بشرط عدم الابتذال ولو أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن [١] على ان اهل القرية الواحدة يعتبرون انفسهم كأهل بيت واحد وعائلة واحدة ولذا ترى الواحدة منهن اذا اقبل اجنبي عن القرية احتجبت بطرف من ثيابها او ادارت وجهها نحو حائط ان كانت غير متبرقعة كما ان الواحدة منهن تجدها فى الغالب ان لم تكن فى مهنة بيتها مرافقة لزوجها او احد اقاربها المحارم وليس من يجترئ على التعرض لها لمحافظة الجميع هناك لعهد قريب على الآداب والدين اكثر من حالة المدن . ومع ذلك فعند فلاحى الارياف عادة هى لجام لعدم الابتذال وهى اعلان بكارة البنت ليلة زفافها على رؤوس الاشهاد فان البنت متى عرفت ان ليلة زفافها سيبقى والدها واهلها مطرقى رؤوسهم واضعى ايديهم على قلوبهم حتى يتحققوا من شرف عرضهم وينتظرون بفروغ صبر اشهار بكارتها ليفهموا الناس ان عرضهم محفوظ ولم يمسسه ادنى ريب بسبب المخالطة اظنها لاتقدم على امر مطلقا مما يثلم شرف عائلتها واهلها ويحط بقدرهم امام الجمهور فى تلك الليلة الموعودة بل ربما أدى الى الفتك بها تخلصا من العار .

---

[١] — ان اشتراك النساء مع الرجال للضرورة لم تحظره الشريعة الغراء وله شواهد كثيرة منها أن زوجة الزبير كانت تنقل النوى لعلف فرسه من مسافة بعيدة ولقد لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فاراد ان ينيخ جملها على ناقتها رأفة عليها وهى حاملة النوى فاستحيت من ذلك . وكان من النساء فى عهد النبوة وراء الجيش من يداوى الكلمى ويسق العطاش ويجبر الكسر ويأسو الجرح. ومنهن من كن يشتغلن بالغزل والنسج والخياطة وغير ذلك مما يناسبهن اعانة للرجال. غير ان ذلك كله لايشترط فيه الابتذال وعدم الحجاب كما أن هذه الاعانة ليست بالواجبة عليهن.

ومع كل فاذا كان الفلاحات أو كل نساء العالم قد تركن الحجاب وابتذلن هل هـذا يحط من اصل الدين ؛ كلا . فالشرع شئ والواقع شئ آخر ويسوءنا ان نذكر هنا ان الفساد الذى سرى بيننا في المدن ابتدأ ان يدخل ويفشو فى الارياف بفضل الحرية وبسبب الاختلاط وبعدم غيرة الاكابر والحكام على الدين فلا يبعد ان تصبح حالة فساد الاخلاق هناك مماثلة لما نحن فيه ويصبح الادب والكمال في خبر كان فلاحول ولاقوة الابالله.

ولو نظرنا الى الفرنج واختلاط النساء عندهم بالرجال لرأينا ان السبب الاعظم فى ذلك فى مبدأ الامر طبيعة ارضهم وماتلزمهم به حالتهم المعاشية من الكد والنصب فلزم ان تساعد النساء الرجال فى تحصيل العيش والاكتساب فبرزن من خدورهن ثم رفعن حجابهن واسترسلن فى الابتذال وتعودن على الاطلاق وذقن لذة الحرية الواسعة فلم يعد يمكن احداً ان يعيدهن لما كن عليه ولا أن يحجبن مهما قامت الدلائل الحسية والعقلية والبراهين الساطعة على فساد هذا الحال اللهم الا اذا كان لهن من انفسهن وازع وهذا قليل نادر وصعب على النفوس التى ذاقت طعم الهوى ولذة الاطلاق .

وهذا مانخافه ونخشى عقباه لو جرينا مايشير علينا به كتاب تحرير المرأة فنكون كالغراب الذى حاول ان يقلد مشية الطاووس فاختبط فى سيره ونسى مشيته الاصلية .

ولسنا ننكر ان التفريط الذى بدا منا فى أمر الحجاب ومبادئ عدم الغيرة التى سرت فينا ربما أدى بنا الى تمام التكشف والابتذال ان لم نتدارك الامر ونتلافاه بعزيمة لا تكل وهمة لا تعرف الملل .

اما الافتخار بان نساء الفرنج باوروبا يشتغلن فى التجارة والصناعة و . . . و . . الخ فلا محل له وليس هو فى الحقيقة ونفس الامر الا مضرة من مضار الاختلاط لانه لما كثر الاختلاط وزاد الابتذال عدل كثير من الرجال عن الزواج اكتفاء بمن يجتمعون عليهن فكثر الزنا واولاد الزنا الذين يسمونهم اولادا طبيعيين(١) يعيشون بلا أب ولا مرب ولا مال يسد عوزهم فيلتزمون ان يحثوا على عيشهم بادنى الدنايا وبكل الحيل فكثر المتشردون وبليت البلاد بالاشتراكيين والاعداميين وغيرهم . والنساء منهم اصبحن يفرطن فى كل مرتخص وغال لديهن التماسا للرزق ويستخدمن فى اماكن تجارية ويشتغلن فى كل ما يرينه جالبا لهن رزقا ليتقوتن وايجمعن مهرا ربما يحصلن به على رجل : ولو ان الواحدة منهن وجدت زوجا يكفيها اظنها تلزم بيته وتوفر عليها هذه الاتعاب .

انظر الى بعض الفرنجيات تر الواحدة تزيد فى العمر عن الاربعين والخمسين سنة وهى لاتزال بدون زواج لانها لا تقدر على المهر ولأن الرجال مشغولون عنها بغيرها فتضطرها الحالة الى ان تشتغل وتكد وتتعب لتأكل

(١) احصى عدد الذين يولدون فى ممالك اوروبا من غير زواج شرعى فوجد عددهم من كل ألف مولود كما يأتى : ايرلاندا ٠٢٦ روسيا ٠٢٨ هولاندا ٣٢ انكلترا ٠٤٨ ايطاليا ٠٧٤ فرنسا ٠٨٢ اسكتلندا ٠٨٢ اسوج ١٠٠ . باقاريا ١٤٠ . النمسا ١٤٦ ٠ (المقتطف)

وهذا العدد لمن تحقق مجيئهم بلا اب شرعى وربما كان فيمن ينسبون الى الآباء بحكم المعاشرة وهم ادعياء فى الواقع ما يزيد على هذه الاعداد ولكن للتستر بالازواج لم يعدوا .

ولتجمع المهر . ولست افهم مطلقا اسباب الانتقاد على قصر المرأة المسلمة فى بيتها ومنعها من الاختلاط بغير محرم لها وها بعض نساء الفرنج العاقلات العظيمات يأنفن من عوائد بلادهن: فهن لا يستقبلن احدا الا فى اوقات مخصوصة ولا يسمحن بمقابلتهن الا لرجال مخصوصين قد لا يزيدون عمن يجوز للمرأة المسلمة ان تقابلهم وتجتمع بهم من المحارم . أليس ذلك رجوعا من عقلاء الفرنج واستحسانا لبعض عوائدنا التى يقبحونها لنا ؟ أليس ذلك لكون تلك العادة عندهم — عادة الاختلاط والابتذال — يئن منها عقلاؤهم ؟

هذا ولقد وافق على ذلك كثير من علماء الفرنج واستحسنوا الحجاب ودونوا ذلك فى كتبهم وقالوا : ان المرأة لا يلزمها ان تفارق منزلها ولا ان تجتمع برجل وناهيك بالمثل الالمانى الذى سبق ايراده وهو : « يجب ان تحفظ البنت بين الاربعة اناجيل او بين اربعة جدران » نقول ذلك ولو غضب بعض انصار التبذل بيننا الذين يريدون أن نتشبه بما يعده المتمدنون انفسهم فسادا . ولست أقول ان ذلك منهم لسوء قصد بل لعدم التدقيق فى البحث فانهم لو دققوا البحث والتنقيب لقالوا غير ما قالوه ولعدلوا عما اليه هم الآن ذاهبون .

﴿ الحجاب الحالى وما يتهددنا به ﴾

علمنا مما تقدم ما نحن عليه من الجهالة وسوء الحال وفساد الاخلاق الذى جر فساد العائلات . وما اسرع سريان الفساد فى شرايين العباد : أصبح

كتاب الله بين ايدينا وما من عامل به : اصبح الحق ينادينا باننا قد خنا انفسنا واهالينا وبلادنا وما من سامع : أصبحنا نفتخر بتعلم اللغات وقشور من بعض العلوم وما علمنا ان تعلم ذلك شيء والتطبع بالمبادىء الشريفة الثابتة شيء آخر لا يوجده فى الأبناء الا حكمة الآباء والتربية الصحيحة التى قد جهلناها جهلنا ما علينا من الواجبات لانفسنا ولاهالينا : اصبحنا لا هم لنا الا ان نفتخر بتقليد الفرنج تقليداً اعمى فى كل ما فيه ضررنا ويا ليتنا كنا نقلدهم فى فضيلة تفيد وخصلة حميدة تنفع فصرنا لا نتقدم خطوة الى المدنية الغربية ولا نترقى حاجياتنا الا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل !!

واقد نال النساء نصيبهن من هذا التفريط فى أمور الدين فخففن الحجاب وبرزن من خدورهن وصرن ولاّجات طوّافات فى الشوارع والمنتزهات متبرجات متزينات يبدو منهن من الاشارات والحركات فى الطرق ما يأنف منه الذوق السليم . ولعمر الحق ما هذه الامور التى نراها الا مخالفة كلها للدين واصريح القرآن الكريم القاضى بغض البصر وبعدم التبرج وعدم ابداء الزينة . ولكن ماذا نقول والغيرة على الشرع قد انعدمت او كادت والفضيلة ذهبت وذهب رجالها والآداب اندرست ومات ذووها : والا فما معنى أن يروا اشد المنكرات باعينهم امام محلات عبادتهم وفى طريقهم بل وفى بيوتهم ولا يعملون على محوها كأن غض الابصار الذى أمروا به هو صرف النظر وغض الطرف عما هو جار من تلك البدع والمنكرات : ولله فى خلقه شؤون .

ولاشك ان الضرر الذى اصبحنا فيه ما هو الا مقدمة اضرار اخرى اشد وانكى مادمنا على غفلتنا هذه مسترسلين وعن صوالحنا ساهين .

فيا قوم ان كان متعذراً علينا اصلاح ما تم فساده فلنحافظ على الاقل على مابقى ان كان هناك بقية . فقد حصل الآن من النساء تساهل كبير فى امر الحجاب ولم يحصل لنا من وراء ذلك الا كثرة الفجور منهن وانتهاكهن حرمة الآداب وكثرة الفسوق والفساد وهذا امر لا يخفى على احد ويعترف به حضرة صاحب كتاب تحرير المرأة نفسه حيث قال :

« ربما يقول قائل ان مانسمعه اليوم عن كثير من النساء اكثر مما »
« كنا نسمعه سابقا وان الاشاعات عن الفساد اشد انتشارا بل ربما كان »
« الفساد فى الواقع اوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنه مثلا .ولا منشأ »
« لذلك الا رقة الحجاب. فالحالة القديمة على مافيها كانت اصون للاعراض »
« واحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التى طرأت على النساء . فنجيب »
« عن ذلك بانا لا ننكر ان بعض الطباع الفاسدة من الرجال والنساء »
« معا وجدت سبيلا من تخفيف الحجاب الى تعارف بعضها ببعض »
« واتيان ما تميل اليه من المنكر بل نزيد عليه انه لو استمر تخفيف الحجاب »
« يتقدم بالسرعة التى سار بها الى الآن — والنفوس على ماهى عليه — لعمت »
البلوى وازداد الفساد انتشارا »

« وقال ايضا : « على ان البرقع والنقاب مما يزيد فى خوف الفتنة »
« لان هذا النقاب الابيض الرقيق الذى تبدو من ورائه المحاسن وتختفى »
« من خلفه العيوب — والبرقع الذى يختفى تحته طرف الأنف والفم »

« والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والخدود والاصداغ »
« وصفحات العنق — هذان الساتران يعدان فى الحقيقة من الزينة »
« التى تحث رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفى بعد الافتتان »
« بكثير ظهر . ولو ان المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان فى مجموع »
« خلقها مايرد فى الغالب البصر عنها »

نم هذا هو الواقع ولكن هل هو مقتضى الشرع ؟ حاشا لله وكلا . ان الدين والحياء والعقل ومكارم الاخلاق والادب كل ذلك برىء من هذا الحجاب ومن هذا الابتذال ومن هذه الحال . فالشرع كما علمنا يقضى بستر المرأة وجهها وبدنها وملازمتها خدرها الا لضرورة وباذن زوجها . ولكن قد طرأ علينا بفضل الحرية والاختلاط ورقة الحجاب وعدم الرهبة والخشية التى كنا نحسب حسابها من الله ومن الخلق ماقد يطرأ على غيرنا من الامور المخالفة لطبائعنا المخالفة لديننا وشرائعنا فصار داء فاستحكم فينا ويتهددنا بتمام الوهن والانحلال ان لم يدركنا الله بلطف من عنده ويلهمنا التوفيق والسداد فى قولنا وعملنا . فان من قارن بين بلاد الشرق قبل استيطان الأجانب بها وقبل استيلاء بعض دول اوروبا على بعضها وبين حالتها الراهنة من الآداب العامة رأى فرقاً عظيماً وتبايناً كبيراً عما كانت عليه : كان المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون فى الشرق يرون تحريم الزنا من الجهة الشرعية وقبحه من الجهة العقلية ويرون صيانة الاعراض من الواجبات ومع خروج بعض نساء الارياف مكشوفات الوجوه فانه ماكان يجرأ رجل على التعرض لامرأة بشيء يمس الشرف ولو وقع شيء

من ذلك لهلك فى الحال بايقاع اهلها به وربما اوقع به اجنبي منها . وكان الناس على اختلاف اديانهم يتحاشون وجود النساء معهم فى المجامع واختلاطهم بهن فى الافراح ويمتنع كل الامتناع دخول امرأة فى مجمع لهو. واذا لعب الهوى بعقل امرأة تركت بلدها واقليمها وسكنت فى بلد آخر خوفا من فتك اهلها بها ولا يمكنها ان تنتسب الى اهلها أو تخبر باسمها الاصلى بل تغيره وتدعى النسبية لغير اهلها ستراً عليهم وخوفاً من عثورهم بها . وكان لا توجد بغيٌ فى بيت متظاهرة بالبغاء بل تستتر بقدر الامكان خوفاً من علم الحكومة بها فان الحكومات الشرقية كانت محافظة على الآداب الشرعية والحقوق الشخصية فكانت اذا عثرت ببغي عاقبتها وابعدتها خشية ان يسرى ضررها الى جاراتها . ولذلك كانت الاعراض مصونة والرجال آمنين على بيوتهم غابوا اوحضروا لعدم اشتغال افكارهم بشيء يشوّش عليهم من جهة النساء واذا سافر احدهم سفراً بعيداً او قريبا اوصى جاره على بيته فيتعهد اهله واولاده ويقضى حوائجهم ويغار عليهم غيرته على اهله ويحافظ عليهم محافظته على بيته وعرضه . وربما جاور الرجل اخاه من الصغر الى الشيخوخة ولم يتفق له ان رفع بصره لشباك اخيه مرة فضلا عن تعرضه لحرمه . وكان الرجال المسلمون ابعد خلق الله عن الخمر والنساء ما كانت تذوقها ولا كان الرجال يدخلونها عليهن لعلمهم ان مابعد سكر المرأة الا الافتضاح والميل الى البغاء . فلما حصل الاختلاط بيننا وبين الاجانب بتداخلهم فى بلادنا بالتجارة والتغلب وبأسفارنا فى بلادهم فسدت اخلاق الرجال والنساء بما دخل من مسمى المدنية الغربية حيث دخل الشرق الكثير من نسائهم البغايا وفتحت

المحلات جهاراً وتعرضن للشبان والكهول فى الطرقات وتزين باحسن ما يمكنهن وخرجن يعرضن انفسهن على المارة فى الطرقات فاستابن عقول الشبان ثم جذبن ضعفاء العقول وما زال الفساد يترقى من صورة الى افظع منها حتى فسدت اخلاق كثير من النساء الشرقيات فأخذ نساء الشرق يجرأن على الخروج من البيوت سراً ثم تظاهرن فخرجن جهراً ثم تمادين حتى صارت المرأة تترك زوجها وتفتح لها محلا فى بلده او حارته وانتهى الامر بشرب النساء الخمر فزاد التهتك وضاعت اعراض كثيرة وافتضحت مخدرات وذهب مجد بيوت عالية بخروج بعض نسائها لهذا الأمر الشنيع. ثم ترقى الفجور الى ان صار النساء يحضرن مجالس اللهو ويذهبن الى التياترات ويشربن الخمور وهن بحضرة رجالهن. وصار الرجل لا يأمن اخاه على زوجته والجار لا يخاف الا من جاره ووقعت الشبهة على كل مار فى الطريق واصبح اصحاب الاعراض النقية فى حروب شديدة بما يقاسونه من السعى خلف الصيانة والحفظ والخوف من الانحدار فى هذا التيار القبيح الذى جرف البيوت المقفلة على من فيها فهدم اسوار صيانتها وزلزل اركان عفتها وترك من كان فيها كالدر فى الصدف متبذلا بين الناس معرضاً للفساد وقد وقف الناس على اسرار بعضهم فحدث كل صاحبه بمن يعرفها من النساء وما فعل بها من القبيح واخذ كل يشيع ما سمعه عن امرأة غيره وهو لا يدرى ان غيره يشيع على امرأته ما هو اشنع وافظع.

وقد تهاونت بعض الحكومات الشرقية فى هذا الباب تهاون الراضى لهذا الابتذال ورخص بعضها فيه بأمر وعالج البغايا للزناة باطباء من عنده

بدعوى المحافظة على الصحة . هذه امور لم تكن معهودة فى الشرق قبل ثلاثين عاماً أى قبل زيادة الاختلاط بيننا وبين الاجانب . ولا يحسب ظان أن ما نراه خاص بنا قاصر علينا بل يظهر ان ذلك مقصود كل دولة اوربية حلت بلاداً شرقية لحل عروة الدين التى هى العروة الوثقى فى الجامعة العصبية والالتئام الوطنى [١] وما على من عنده اقل ارتياب فيما وصلت اليه حالة

[١] — جاء فى جريدة « الزهرة التونسية » من كم سنه حل كلامها على "الحكومة الفرنساوية ما يأتى : وليس لها مأثرة حميدة تذكر أو صنع جميل .. "يشكر سوى تكاثر الفواحش والفساد والاضرار بالعباد فمنذ تغيرت الهيئة البلدية .. "السابقة عظم مصاب المومسات الاوروبيات وتفاقم خطب انتشارهن بين الحرائر .. "فى معظم الشوارع المعتبرة وفى حارات الاهالى والاجانب وكثرت اسواق الفجور .. "واشتدت وطأة انتصابهن بالشوارع وابواب دكاكينهن وتجاذبهن أثواب العابرين .. "واتسع خرق اعتدائهن على الجيران والعبث براحتهم بالوان المنكرات آناء الليل .. "واطراف النهار وما لجيرانهم من ظهير ولا نصير : يقدمون العرضحالات ولا يجاوبون .. "ويشتكون ولا يسمعون وكيف يرجى الاصلاح من ادارة مهملة مستبدة معتدية .. "على القوانين لا دأب لها الا استخلاص الفرنكين ونصف معلوم الاختبار الطبى .. "من ساكنات حوانيت مصدرة بفرش لا تبعد ذراعين عن أبوابها بدون أن .. "تأخذها فى هذا العار لومة لائم . .. وبعد كلام طويل فى الادارة وسوء أعمال الأجانب فيها قالت : "وطالما كتبنا المقالات المسهبة والاستلفاتات المطولة وبينا .. "سوء الحالة الراهنة وهتك الادارة البلدية لحرمات النظامات والعوائد باباحتها .. "للمومسات السكنى حيث يشأن واحداثها أسواق الفسوق بأحسن مراكزها .. "وأهم شوارع مدينة توفرت فيها محاسن المدنية وحافظ أهلها على قوانين الحياء .. "والآداب العامة فلم تكترث بشيء من ذلك ولم يزدها الا عنادا وكأن لسان حالها .. "يقول : اني افعل ما أشاء واخالف القوانين والعاجز من لا يستبد .. نقلا عن بعض المجلات .

الآداب عندنا الآن إلا أن يتأمل فى حوانيت المبيعات وغيرها وفى الطرق وفى احتفالات الموالد وسواها لينظر ماذا يفعل الرجال خصوصاً المتعلمون المهذبون حسب دعواهم — ولكن على غير الدين — مع النساء والنساء مع الرجال وليحكم بعد ذلك ان كان الرجال يعطون الطريق حقه وهو غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما اوصاهم بذلك النبي عليه الصلاة والسلام. وان كان النساء يستأخرن ولا يحققن الطريق ويمشين بحافاتها كما امرهن الرسول صلى الله عليه وسلم؟ كلا ثم كلا. علم الله ما كنا نسمع قبل تخفيف الحجاب فى مصر عن فعل الفواحش الا نادراً وفى محلات مخصوصة والآن نراه قد تفشى كالوباء فى كل شارع وفى كل حارة فى بيوت يسمونها بيوتاً سرية تأتى اليها النساء بفضل الحرية ورقة الحجاب!! . ولا يقال ان ذلك من عدم التربية والتعليم لانه قد دلت المشاهدات على ان الرجال المتعلمين قبل الجاهلين لا يقدرون على كبح جماح شهواتهم فيوسوسون لهنّ ويستميلونهن وهن لا يقوين على حفظ انفسهن فيملن طوع الهوى زغم التعليم والتربية كما سبق بيانه .

وهذا أمر لاشك فى ان حضرة محرر المرأة يصادقنا عليه فانه لايجهل ما يجرى بكثير من نساء الغربيين من الأمور التى لا ترضاها عاطفة الحياء بسبب التكشف لاعين الرجال والاختلاط بهم وكتابه فى الرد على الدوك داركور اعظم شاهد عليه . وإننا اذا نظرنا الى حال بعض العائلات التى خففت الحجاب وتعلمت العلوم واللغات وعرفت الموسيقي والبيانو وتربت التربية الغربية التى يفخر بها بعضنا واختلطت لوجدنا العجب العجاب: نرى ابتذالا ما بعده

ابتذال ونرى الغيرة لا مسمى لها ونرى العفة عندهم اصبحت كما قال المقطم الاغر « امرا حقيرا لا يرعون له حرمة ولا يجلون لصاحبه قدرا » نرى الرجل لا يبالى بمن يدخل بيته ولا بمن يخرج وهم لا يعدون ذلك الا واجبا من واجبات الصحبة ناسين قوله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يدخلون الجنة ابدا : الديوث والمترجلة من النساء ومدمن الخمر . قيل له ما الديوث فقال : الذى لا يبالى من دخل على اهله .

وقصارى القول فان جهلنا قد اوصلنا لما نحن فيه وفسادنا جر فساد نسائنا وابنائنا وفجورنا أدى الى فجورهم وترتب عليه رقة الحجاب وتبرج النساء والخروج والدخول بدون موجب الا زيادة الفساد وما دمنا على هذه الحال لا بد وان نصير الى رفع الحجاب بالمرة لان الزمن فى تقدم وترقى فى صنوف الابتذال باسم الحرية والمدنية والترقى العمرانى . والتدرج سنة طبيعية للانسان . ولا بد ان ينعدم ما بقى فى دمنا من الغيرة على العرض والشرف ان لم نعمل على درء هذه المفاسد بقدر استطاعتنا ونرجع الى احكام ديننا القويم ونتبع سنة نبيه الهادى الى الصراط المستقيم .

هذه هى حالتنا الحاضرة وهذا هو المستقبل الذى يتهددنا : النساء الآن فى اطلاق ليس بعده اطلاق قد اضربهن وبازواجهن وببلادهن . اطلاق يئن منه العموم . حرية واسعة تركت بعضهن يستسهلن كل بذاء وفجور . كل ذلك حصل بسبب جهلنا وعدم اهتمامنا بامورنا واستسلامنا لعوائد غيرنا . ولعمر الحق ما الملوم غيرنا فان الاجانب عند اختلاطهم بنا لم يشترطوا علينا التخلى عن بعض اصول ديننا والتنازل عن عوائدنا وانما

كان ذلك بتهاون الرجال فى خروج النساء والتوسع لهن فى الجامع واماكن الملاهى وابتذال الرجال فى السكر والسهر فى البيرات والخمارات وبيوت العاهرات وتركهم نساءهم يتقلبن على جمر الانتظار حتى وقع الملال وجر الى الخبل والخلل ثم الى تكاثر العلل والتعود على الزلل واصبحت الطرقات ممتلئة بالمومسات فى صور الحرائر وفتحت القهاوى لرقص الشرقيات بين اهلهن والاجانب واسود وجه المجد بما يسفه احلام الشرقيين ويلحقهم بالقرود فى التقليد الاعمى !

وبدلا من ان يقوم من بيننا من يدعو الى الحث على مداواة هذا الداء بالتربية الاسلامية الحقة وتقييد تلك الحرية نرى الامر قد انعكس وقام بعضنا — ولسنا نعنى بالبعض شخصاً معيناً او اشخاصاً معلومين. كلا . بل كلامنا عمومي — يدعو الى التوسع فيها باسم الشفقة والمرحمة ويطلب تحرير المرأة من الظلم الذى هى فيه برفع الحجاب وبالاختلاط . على ان الرجل — وهو اصل كل هذا البلاء — هو اولى بالتحرير من الجهالة ومن الفساد الذى اصبح فيه . واذا دعى ذلك البعض الى تربية اختار تلك التربية الغربية التى اوردنا حكم بعض الاوربيين انفسهم عليها فلا لزوم للأعادة .

ولا لوم على الفرنج اذا حاولوا الوصول الى غاية لهم انما اللوم كله على بعض المصريين المفتونين فى تقليد الغربى : فانهم يوسعون تقاليدهم القديمة كلها ذما وتقبيحا بلا حق ولا رغبة فى تحسين حال فى اغلب الاحيان ولكن تزلفاً للاجنبي القوى. فهؤلاء دأبهم أن يثيروا خواطر الاجانب على اخوانهم فى الوطنية . والمتمدنون منهم على اصطلاحهم يكرهون من هو من جنسهم

ان لم يتبع خطتهم. مع انهم لو تدبروا لوجدوا أن ما يعزى الى الافرنج من العوائد المستحسنة والفضائل ليس كله من مبتكراتهم بل قد أخذوا عن الشرقيين والمسلمين كل فضيلة اتصفوا بها — كما هو شأن من يريد الاصلاح الحقيق — وتركوا لهم رذائلهم كالخزة مثلا كانت كما قال بعضهم نصرانية فاسلمت.

فيا للعجب انظر الى الطرقات والشوارع والمنتزهات ومحلات الموبقات ترها ملأى بالنساء والبيوت اصبحت خالية خاوية واشغال المنزل مهملة وتربية الاولاد انعدمت وفقدت ومع ذلك ندعى ان النساء محبوسات مسجونات مهينات فيجب تحريرهن !!

واذا اعترض معترض على ذلك الكلام فما جزاؤه الا السخرية والاستهزاء ممن تكفلوا بهذه الدعوة يرمونه طورا بالجهالة وعدم الفهم وتارة بحب البقاء على قديم العوائد وعدم تتبعه لترقيات العصر والمدنية الغربية ويقولون دعوه فانه « انتيكة » ولا يفيد معه كلام ولا يفهم فوائد الاختلاط لما يستلزمه من تشارك الجنسين فى الرأى وتحاورهما فيما يعود على الهيئة الاجتماعية بالفلاح والنجاح وشغلهما معظم احاديثهما فيما يرفع شأن الوطن والدين !!

هذا قول يجرح كل ذى احساس شريف ويسوؤنا ان نراه يصدر من بعض متنورى هذه الامة الذين ربتهم البلاد لينفعوها لا ليسنوا لهـا ولاهلها سنة سيئة يتبعهم وزرها الى يوم الدين . ولو سألناهم اين تلك الامم التى ماتت فيها الشهوات البهيمية فصار النساء فيها لا يثرن فى الرجال غير عواطف الاخلاص واحساسات الشرف ومحبة النوع غضبوا وقالوا

ان ذلك موجود ولكنكم لا تفهمون !!

اما نحن فلا نتكلف الرد عليهم بل نثبت عدم وجود هذا الامر حتى فى ارقى البلاد مدنية وادبا بلسان امرأة ليكون الكلام اكثر افحاما : كتبت „ مدام دوصون بروتون " احدى رئيسات جمعية من جمعيات النساء فصلا فى مجلة المجلات (مجلد ١٧) قالت فيه مامعناه : « بينما ترى الرجال من اهل العلم والصناعة جالسين على مائدتهم بعد الطعام يتكلمون فى الشؤون العمومية مما له ارتباط بترقية الصناعات وتنمية المعلومات تراهم عند دخول امرأة عليهم يدعون الاحاديث النافعه وذكر نتائج السياحات العلمية والمكتشفات الطبيعية ويأخذون فى غير ذلك . تجد اولئك الرجال الذين كانوا قبل ساعة فى غاية الثبات والرزانة قد صاروا خفاف العقول لا يتمالكون انفسهم من التبسم واخذوا يبحثون فى افكارهم على تلك العبارات التافهة والتحيات ذات المعانى المتنوعة التى كانت تستعمل بعينها فى زمن لويز الخامس عشر » هذه هى مقابلات النساء بالرجال فى العالم المتمدن بشهادة نفس المرأة فلنتق الله فى انفسنا ولنعتبر باحوال غيرنا .

وانا ليضحكنا مايقولونه من اننا نريد الاختلاط ولكن مع حظر الخلوة اذ مافهمنا كيف يمكن التوفيق بين القول والفعل فى ذلك . هذه نظرية دون العمل بها خرط القتاد اذ كيف تقيد حرية بعد اطلاق ؟ وكيف تمنع خلوة بعد تصريح باختلاط ؟ ولو كان ذلك ممكنا لوجد بعض الفرنج من الضيق الذى اصبحوا فيه مخرجا وفرجا .

انا شدكم الله أيها المطالبون بتحرير المرأة هلا شاهدتم حال النساء التى

قدمنا ذكرهن ؟ هل لا زلتم مصرين على رأيكم من ان بقاء المرأة فى محل شغلها وهو بيتها الذى تنتهى وظيفتها عند عتبته سجن وحبس لها ؟ هل لو اشتغلت المرأة باشغال بيتها ألا يتولد فيها النشاط والحركة فيجري دمها ويتقوى جسمها ؟ هلا تعتقدون ان ستر المرأة جميع بدنها اذا برزت من خدرها احكم للرجال من مخالفة غض النظر واصون للنساء مما يترتب على هذه المخالفة من المفاسد ؟ أما ترون عدم الفائدة من خروجها وبيتها اولى بها ومحتاج لها وزوجها متكفل بمصروفها ونفقتها وبالسعى على عياله ؟ واى ضرر على الهيئة الاجتماعية اذا خرجت غير متبرجة بدون ابتذال مستورة الوجه ولضرورة ؟ هلا كان الأليق طلب تشديد الحجاب والحث على زيادة الاعتكاف فى البيوت والرجوع الى الحجاب الشرعى ما دمنا جميعا مسلمين بان الحجاب الحالى بدعة مضرة مفسدة وما دمنا كلنا متفقين على ان حالتنا الأدبية وصلت لدرجة لا تطاق ؟ أما تقرون معنا بان الرجل هو سبب كل هذه البلايا والمصائب ؟ اما هو المسئول عن كل هذه المفاسد ؟ هل العلم والتربية كافيان لمقاومة الميل النفسانى اذا تحكم الدافع الشهوانى متى تهيأت اسبابه ؟ اظن لا . ومن يكابر فما عليه الا ان يسأل ليسمع واذا لم يصدق فليجرب . ولكن هل اذا تربت البنت تلك التربية الاسلامية الصحيحة التى اشرنا اليها وتهذبت اخلاقها ولزمت الحجاب الذى به تمام تربيتها هلا تنظم بيتها تنظيم غربية ؟ هلا تأنف من مخالطة من هى أحط منها فى الدرجة وأبعد فى التصون والعفة وهلا تكون اهلا لان تعرف حقوقها وواجباتها؛ إنا نرى اغلب انواع التبذير والاسراف والتفريط

فى العرض وعدم الغيرة تصدر من الطبقة المقال بانها تعلمت وتهذبت رجالا ونساء . فما لهذه التربية وهذا التعليم لم يدرأ أهذه المفاسد ؟ أليسا لكونهما جاريين على النمط الغربى الذى يئن منه نفس الغربيين كما دلت عليه اقوال اعاظم علمائهم ولان الحجاب قد خفف عند هذه الطبقة حتى كاد ان ينعدم بالمرة ويرتفع تماما ولانهن لم يعدن يسمعن «هذا حرام وهذا حلال» ؟ بل وماذا أفاد الابتذال والاختلاط بالبلاد الاخرى سوى عدول الكثيرين عن الزواج وتناقص عدد المواليد فيها وعدم الاهتمام بالشؤن المنزلية وكثرة المتشردين وزيادة الصرف على التزين والتحلى لما تستلزمه من النفقات دواعى الاختلاط والحضور فى الاحتفالات والجمعيات حيث كل امرأة تريد أن تتأنق لتحوز الأسبقية فى أعين الحاضرين ! ويا لها من جناية عظمى على البلاد والعباد ؟ .

كيف بعد ذلك يقال ان الحجاب غير لازم وانه لم يجعل لا للتعبد ولا للأدب مع ان حضرة محرر المرأة نفسه قال فى مبدإ كلامه على الحجاب ما يأتى بالحرف الواحد : « ربما يتوهم ناظر انى ارى الآن رفع الحجاب بالمرة . لكن الحقيقة غير ذلك . فانى لا أزال ادافع عن الحجاب واعتبره اصلا من اصول الادب التى يلزم التمسك بها . غير انى اطلب ان يكون منطبقا على ما جاء فى الشريعة الاسلامية . »

واذا كان حضرته يعتبر الحجاب اصلا من أصول الأدب فكيف لا يكون الشرع أمر به . هل ترك الدين شيئا من أصول الأدب لم يأمر به ويحث عليه ؟ واذا كان الشرع لم ينص عليه أليست حالتنا الحاضرة تستدعى

التمسك به بل وايجاده ان لم يكن موجوداً اللهم الا اذا كان ما نراه لا يعد عند ذلك البعض فسادا ولا فجورا : وان صح أن بعض الائمة قال بجواز التكشف مطلقا كما يقولون — على ان الامر بالعكس — فلماذا ناخذ بقوله ونترك رأى الاغلبية الموافقة لمصلحة الامة ولاصول الادب وها نحن نرى بعض علمائنا يطالبون عدم التقيد بمذهب دون مذهب فى باقى المسائل الشرعية ؟

ولسنا هنا نطلب الا تنفيذ ماجاء فى هذه العبارة : « **الحجاب اصل من اصول الادب فيلزم التمسك به . الا انه المطلوب ان يكون منطبقاً على ماجاء فى الشرع .** » والشرع قضى كما قد علمنا بان الحجاب بمعنييه واجب ويأمر به الدين وحسبه فخراً أن جعله الله تعالى من احسن ماتوصف به امرأة فقال : « حور مقصورات فى الخيام » ووردت به السنة وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسوغ لمتولى الاحكام ولا لاحد غيره من باب اولى ان يحكم فى التحليل والتحريم بما يلائم مزاجه مما يخالف الاوضاع الشرعية ولا عبرة بالاستكراه النفسانى والاستحسان الطبيعى والاخذ بالرأى من غير دليل شرعى . قال ابو حنيفة النعمان رضى الله عنه « اياكم والاخذ فى دين الله بالرأى وعليكم باتباع السنة فمن خرج عنها ضل وغوى »

نتيجة ما تقدم

ثبت مما قدمنا ان الحجاب الحالى غير شرعى . وان النساء لسن الآن محتجبات بل هن فى الحقيقة متبرجات مفسدات . وان النقاب الشرعى يشترط فيه ان لا تبدو منه الا العين الواحدة او العينان كما قرره المفسرون وكما كان

الصحابة سائرين عليه . وأن الاصل فى المرأة احتجابها وعدم ابتذالها فاللازم الرجوع الى الشرع اذا امكن او عند عدم امكان الوصول الى ذلك يلزم على الاقل عدم المغالطة والتمحك فى الشرع والدين لاعلاء فكر يخالفهما او اظهار رأى يناقض ما امر الله والله الهادى لسواء السبيل .

وانه ليسرنا ان نرى معظم الراى العام مستهجنا مطالب نصراء الابتذال فقد قرأنا فى جريدة مصر الغراء انه قد ورد الى حضرة محرر المرأة خمسة وسبعون كتابا يهنئه فيها اصحابها على طرق هذا الباب وعلى ذهابه هذا المذهب ولكن ليس من بين هؤلاء المهنئين سوى ثلاثة مسلمين !! والباقى ممن يفضلون طبعاً مساواتنا لهم فى هذا الامر مادام الابتذال مقدوراً عليه واحتجاب المبتذلات ضربا من المحال .

وهذا الذى نراه من اخواننا المسلمين يقوى فينا الامل فى تحسين الحال اذا وطدنا النفس على العمل والسعى فى اصلاح نفوسنا وتقويم مااعوج منا

فعلى من يهمهم حفظ الاعراض وصون الشرف مما يخدشه أن يقدموا للحكومة الجليلة بطلب السعي فى منع هذا الابتذال وفى اعمال حاجز بين المومسات والاحرار وتنقية الشوارع والدروب من تلك البيوت التى جلبت الضرر على كثير من الناس وزيادة الاهتمام بامر الآداب العامة. ولئن قيل إن الحرية تقضى بعدم تعرض أحد لاحد فى أموره الخاصة قلنا: ان الحرية عبارة عن المطالبة بالحقوق والوقوف عند الحدود وهذا الذى نسمع به ونراه رجوع الى البهيمية وخروج عن حد الانسانية ولئن كان ذلك سائغاً فى بعض بلاد اوروبا فان لكل امة عادات وروابط دينية أو بيتية وهذه الاباحة

لا تناسب اخلاق المسلمين ولا قواعدهم الدينيه ولا عاداتهم والقانون الحق هو الحافظ لحقوق الامة من غير ان يجنى أو يزرى بالجناية عليها بما يبيحه من الاحوال المحظورة . واننا نسمع أنهم لا يريدون منا الا ان نطرق باب المدنية وهذا الذى نراه هو الهمجية بل الحيوانيه الصرفة . لانه إما ان نقول عن زوجة الرجل شرعية لا يجوز تعدى الغير عليها أو قانونية عند من يعتبر الزواج قانوناً نظامياً وعلى كلا الامرين يلزم اخذ الطرق اللازمة لحفظها وعدم ابتذالها واتهامها حضر الزوج او غاب. وهو بمفرده لا يمكنه ذلك فانه فرد فى مجتمع امة عظيمة فيبقى الامر منوطاً بالقائمين برعاية الامم وصيانة اعراضهم . ثم اننا نقول ان واضعى القوانين غير معصومين من الخطأ فانما هى افكار فرد أو أفراد دونت بحسب استحسانهم فهى قابلة للنقض والابرام اذا رفعت الشكوى منها للقابضين على ازمة الامم ونبهوا الى اوجه النقص فيها وها نحن نرى كل يوم ولاة الأمور يدخلون التعديلات فى اللوائح والقوانين حسب ما يرونه ازيد ملاءمة واوفق لمصلحة البلاد . فنرجو أن يحال بيننا وبين تلك الامور التى نراها بين ظهرانينا منعا للعيث فى الاعراض النقية وحرصاً على العوائد الاسلامية وسداً لهذا الباب الذى ما فتح بين قوم الا تركهم فوضى لا يحفظ لهم نسب ولا يعرف لهم حسب. فليعقد اهل الشرف عزائمهم على أنهم لا يغمض لهم جفن حتى تطهر المدن من هذه النجاسات التى لوثت كثيراً من طاهرات الذيل عفيفات الطباع والا فما ناب اليوم هذا سينوب ذاك غداً والآن يتكلم فلان فى بيت اخيه وسيتكلم الغير فى بيته فالبدار البدار يا ذوى الغيرة وجدوا فى هذا الطلب

العدل الحق قبل تفاقم الخطب وفرقوا بين بيوتكم الطاهرة وبين تلك البيوت الخبيثة بحدى ,,هذا حرام وهذا حلال" وامنعوا هذا الابتذال وقيدوا هذه الحرية واطلبوا الرجوع الى آداب دينكم القويم

واعظم قانون يضعه الازواج لحفظ اعراضهم اذا عز اقفال تلك البيوت ومنع هذا الحال أن يشددوا فى منع خروج النساء من البيوت ويقفلوا ابوابهم فى وجه كل داخلة من غير اقاربهم واصهارهم ومن يثقون بصيانتهن. والا ان بقى الحال على ماهى عليه انجرامر التهمة شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى بيت الا وللفسقة كلام فى شأنه وافتراء على اهله. نجانا الله مما نخاف. ويجمل بنا أن نختم هذا الباب بما قاله حضرة فريد افندى وجدى فى مقالته « نظرة فى تحرير المرأة » بعنوان :

﴿ ما هو الاصلح فى حالة النساء التحجب ام الابتذال ؟ ﴾

قال: اذا لم تثبت فرضية التحجب فبالأولى لم تثبت فرضية الابتذال وعلى هذا يجب علينا ان نعمل بهذه القاعدة الاساسية العامة وهى: كل ما زاد نفعه عن ضرره وجب أخذه وكل ما زاد ضرره عن نفعه وجب تركه وكل ما تساوى فيه الطرفان كان لنا الخيرة فيه . اذا تقرر هذا نقول: ما هى فوائد التبذل وما هى مضاره حتى نحكم بالأخذ به أو تركه على حسب هذه القاعدة المتقدمة ؟ نقول: لا نرى فى التبذل الا فائدة واحدة . وهى سهولة تعامل النساء مع الرجال وهذا التعامل لا تظهر فائدته الا باشتغال الأوليات بأشغال الآخرين . وقد سبق لنا أن برهنا على ان هذا ضد طبيعة المرأة

ويجب ان يعد من الأمراض الاجتماعية اللازم استئصالها بالطرق الحكمية كما أثبتنا ذلك علمياً . ولو اعترض علينا بأنه قد يستحيل محو تعامل النساء مع الرجال مهما بذلنا من الوسائل. نقول: لو سلمنا بهذا الأمر فلن يبلغ عدد المتعاملات للضرورة جزأ من عشرة من مجموع نساء الجمعية المتمدنة وعلى هذا فلا يجوز لنا ان نراعى الا قلية فى اباحة شئ فوائده موهومة ومضاره محققة منظورة . اما مضاره هذه فكثيرة جداً ولو لم يكن منها الا سوق نسائنا الى الدخول فى جميع الأدوار التى دخلتها المرأة الغربية من جراء اختلاطها بالرجل لكفى بها وازعاً قوياً لرجل المشرق عن ورود هذا المورد الخطر.

ومن الأسف انا معشر الشرقيين الجاهلين والمتجاهلين عظمة مدنيتنا الاسلامية القديمة التى هى نموذج الكمال البشرى قد اعتدنا ان نضرب بالأوروباى المثل فى كل شئ . فان دعونا الى الاتحاد قلنا احتذوا مثال الاوروبى فيه . وان نادينا بلزوم التعاضد أشرنا الى اقتفاء أثر الأوربى فيه . وان سعينا فى تحسين حالة النساء استلفتنا الانظار الى المرأة الأوربية وضربنا بها الامثال . وهذا الامر منا نعده من الغلطات الكبرى فان مدنية اوروبا مهما بلغ شأنها فى الصناعة ناقصة من اوجه كثيرة نقصاناً يؤذن باستحالة ثباتها على تلك الحالة . ولسنا نقول ذلك من باب الحسد ولكن هى الحقيقة الناطقة لمن الم باصولها وعرف اتجاه مجراها. وقد كتب الكاتب الروسى الشهير (تولو ستووى) مقالات ضافية الذيول مثبتاً فيها أن كل انواع الوحشية الأوربية القديمة موجودة للآن فى ارجاء

البلاد المتمدنة تحت حماية العلم ولكنها تطورت فى اطوار أخر وتشكلت بأشكال تغر البسطاء ولا تخفى على الالباء . وقد قرأنا مرة مقالة لكاتب فى احدى جرائدهم يقول فيها ما معناه : « انا معشر الاوربيين قد رتعنا فى حياض المدنية ولكننا بغاية الاسف لم نكتف باقتطاف زهورها النضرة وثمارها الجنيـة ولكنا خلطنا ذلك بما فيها من حسك وحنظل وغرتنا الامانىّ حتى بتنا وقد أصبحت مدنيتنا مشوبة بما كان يجب ان تتبرأ منه ولهذا هى قد آلت الى الانهيار على نفسها والسقوط بنا الى أسوأ مما كنا فيه . » ولا نشك ان من ضمن مساوى تلك المدنية هى حالة النساء فيها وقد اثبتنا ذلك من اقوال فطاحل كتابهم وعقلاء نسائهم مما لا سبيل للمكابرة فيه . ولو كان المجال أوسع من هذا لأتينا على الاحصائيات التى تشير الى المفاسد العامة والخصة التى سببتها المرأة الغربية بغلوائها فى الحرية .

يقول قائل : « نحن لم نشر بالابتذال المطلق ولكنا أشرنا بوجوب كشف الوجه واليدين فقط . » نقول: « قد ثبت أن التدرج سنة عامة فى كل شىء فان كشفت المرأة وجهها اليوم فمن المؤكد انها تتدرج منه الى خلع العذار للنهاية غداً كما فعلت المرأة الاوربية وربما سبقتها فى التبرج بعد حين قصير . » يقولون: « وما العمل اذا كانت المدنية الحالية تقتضى ذلك فهل يجوز لنا ان نحافظ على تقاليدنا القديمة المضرة رغماً عن مطالب الحياة العصرية ؟ » نقول: « ليس للمدنية مجرى واحد لا تتعداه: فمن يكلف بدرس أشكال المدنيات القديمة يجد من التخالف فى اصولهـا ما يجعله يجزم بأن طرقها كثيرة جدًّا واحسنها ما كان سهل السلوك غير وعر الخطط

مأمون العاقبة حاصلا على سائر مميزات الانسانية . ونحن لو قارنا بين المدنية الاسلامية الاولى (التى كان من اصولها احتجاب النساء) وبين المدنية الاوربية الحالية لوجدنا ان الاولى تفضل الثانية من حيثيات كثيرة : اولها انها كانت حائزة كل الكمالات الاخلاقية الصحيحة وفى التاريخ مقنع ممن كان له قلب. ثانيها أنها كانت اكثر تأثيراً على العقول فانها صبغت بصبغتها فى مدة قصيرة أمماً ظلت آلافاً من الاعوام حافظة لما هى فيه بدون ادنى تدرج ولا اقل ترق . ثالثها انها كانت اسرع سيراً من مدنية اوربا فانها أبلغت ذويها فى مدة عشرات من السنين أوجاً من العظمة لم تزل اوروبا مقصرة عن نوالها فيه من غالب الحيثيات ولا محل لتفصيل ذلك هنا لما يستلزمه من مقالات ضافية الذيول .

بناءً على كل هذا يلزمنا أن نعير مدنيتنا القديمة نظرة لنرى ما هى تلك الاسس التى قامت عليها وما هى تلك القواعد التى ثبتت اركانها حتى يتحقق اكثرنا طموحاً الى المعالى ان السلم اليها قد تركناه وراء ظهورنا وهمنا فى تيه البحث عن غيره على غير جدوى . فهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى اصوله لفتة علمية ترى انه هو المجد الصحيح الذى يجب ان تشد له رواحل العزائم والذى سيتضح للعالم اجمع يوماً ما أنه هو نفس الكمال الذى ينشده الانسان ويتلمسه الوجدان . نعم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)» اه .

هذا وبعد أن تهيأ الكتاب للطبع وطبع معظمه قرأت فى المؤيد

الاغر [١] مقالة رائقة المعنى شائقة المبنى لحضرة صاحب الحجج الدامغة والفصاحة البالغة فريد افندى وجدى الملت بجميع اطراف هذا الموضوع بعبارة سلسة معقولة فاتماما للفائدة وحفظاً لهذه الدرر والغرر قد رأيت ان أختم بها كتابى ليكون ختامه مسكا ان شاء الله تعالى قال :

﴿ رأى الطبيعة فى مسألة المرأة ﴾

« نشرنا بالمؤيد ثلاث مقالات فى تهذيب المرأة ووعدنا فى الاخيرة »
« منها ببذل الوسع فى تمحيص حقائق هذه المسألة المهمة قياماً ببعض »
« الواجب علينا اذ أنها من اكثر المسائل ارتباطاً بحياتنا الاجتماعية »
« ولا تكفى فيها جولة قلم أو لفتة نظر . وتاريخ المرأة فى البلاد المتمدنة »
« من الادلة الواضحة على صدق ما نقول فان من يعانى درس الاحوال »
« الاجتماعية للامم الغربية ولا سيما من حيث علاقتها بالمرأة لا يسعه إلا »
« التسليم بأن هذه المسئلة ان لم تكن اكثر الاشياء ارتباطاً بحياة الامم فهى »
« من اكثرها ارتباطا بها . »

« ان مسألة هذا شأنها من الاهمية تعوز كثيراً من الدرس والتأنى »
وتستلزم اهتماماً كلياً من سائر أصحاب الافكار فى الامة حتى يكون لنا »
« من تراحم الظنون عليها مجاز ممهد الى سرها الحقيقى . وقد أوردنا فى »
« مقالاتنا السابقة اقوال علماء العمران من القارتين فى هذا الموضوع مما »

[١] انظر اعداد المؤيد نمرة ٢٩٠٦ و ٢٩١٣ و ٢٩١٤ بتواريخ ٢ و ١١ و ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٩ م .

« يكفى لأن يعرفنا ان الضالة التى ننشدها لا يتوصل اليها من الطريق »
« التى اتبعتها المرأة الاوروبية ولا الاميركية وان هناك طريقاً آخر أسلم »
« خطة وآمن عاقبة . ولكن ماهو هذا الطريق وكيف يمكن الوصول اليه ؟ »
« أنعتمد على العرف والعادة فى بحثنا عنه مع علمنا بأن عرف اليوم قد »
« ينقلب نكر الغد والعادة المستحسنة فى هذه السنة قد تكون فى تاليتها »
« الرذيلة المستهجنة ؟ ام نقلد فيه سوانا على غير هدى وقد أذاقتنا الحوادث »
« علاقم تقليداتنا الاولى؛ نعم لو كان أمامنا أمة تدعى أنها بلغت قمة الكمال »
« فى هذه المسألة أو هى على وشك بلوغه لوجب علينا الاقتداء بها عملا »
« بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها »
« حيث وجدها » ولكن الأمر بالعكس فلا نرى أينما وجهنا النظر »
« فى الامم الا تشكيا من الحال وخوفا من المآل . اذن لم يبق أمامنا »
« الا طريق واحد يؤدى بنا الى ضالتنا المنشودة من أسلم السبل وأقومها »
« وليس ذلك الا باستفتاء نفس الطبيعة فى هذه المسألة (قل انظروا »
« ماذا فى السموات والارض) فانها لاتضن علينا بالجواب الشافى مادمنا »
« نجاهد فى هذا السبيل باخلاص وصدق عزيمة (والذين جاهدوا فينا »
« لنهدينهم سبلنا) ويكون حكمها فى هذا الشأن غير قابل للنقض ولا التحوير »
« كما هو شأن العرف والعادة لان الناس فيهما لا (يتبعون الا الظن »
« وما تهوى الانفس) بخلاف نواميس الكون وقوانينه فانها ثابتة لاتتغير »
« ولا تتبدل (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وعليه فنحن سنسلك فى بحثنا »
« هذا عين الخطة التى يشير بها القرآن الشريف من درس نواميس »

« الكون والاعتبار بحوادثها . لاجرم ان هذه هى الخطة المثلى ومن »
« الغريب انها مطابقة لما اصطلح عليه البشر بالقرون الاخيرة فى الوصول »
« الى الحقائق الصحيحة وقد سموا هذا النوع من البحث باسم (پوزيتيڤزم ، »
« أى المذهب التجريبي . وقد رأينا أن نقدم بحثنا بايراد مقدمات »
« محسوسة لا مجال للجدال فيها حتى نصل الى النتيجة التى نتلمسها بكل »
« اطمئنان فيرى كل قارئ وقتئذ بطريقة محسوسة أن ما قررته الشريعة »
« الاسلامية هو عين ما تصرح به النواميس الطبيعية وتقتضيه الحالة »
« البشرية وسنفتتح كل مقدمة بالآية التى تناسبها فنقول :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

« نحن لما كنا نعلم ان سعى المرأة فى الغرب وراء نوال استقلالها »
« المطلق من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذى درسنا »
« بعض آثاره المحزنة فى مقالاتنا السابقة وان هذه النزعة ربما انتقلت الى »
« الشرق بطريق العدوى تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا أن نقيم الحجة »
« فى مقدمتنا الاولى على أن ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب »
« المستحيلات الطبيعية وان الساعى فى تحقيقه كالساعى فى تغيير أوضاع »
« نواميس الكون وهو مسعى يساوره الاخفاق من كل جانب . فنقول : »

« اثبت علم التشريح أن الرجل أرقى من المرأة جسما من سائر »
« الحيثيات وبدرجة محسوسة جداً حتى ذهب بعضهم الى ان المرأة الحالية »
« ليست انثى الرجل الحالى بل هى انثى كائن آخر يشبهها فى تركيبها »
« وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له فى الحياة »

« فتغلب على أنثاه التى من نسلها المرأة الحالية . هذا الفرض وان كان »
« تطرفا من بعض العلماء الا أنه يدلنا على عظم الفرق بين هذين »
« الكائنين كما نبينه تفصيلا فنقول : أثبت العلم بالتجربة أن متوسط »
« طول الرجل يزيد عن متوسط طول المرأة باثنى عشر سنتيمترا . هذه »
« الزيادة تشاهد عند المتوحشين كما هى عند المتمدنين وعند الاطفال من »
« كلا النوعين أيضاً . واما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجال »
« ٤٧ كيلوا وأما عند المرأة فلا يزيد عن ٤٢ ونصف . واما من حيث »
« المجموع العضلى فانه عند المرأة أقل منه كما لا عند الرجل بكثير . قال »
« الدكتور (دوفاريى) فى دائرة المعارف الكبيرة عند ذكره هذا »
« المجموع : « انه اقل حجماً وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته »
« اقل سرعة واقل ضبطا » اما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه »
« عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ جراماً فى المتوسط . اما الجهاز »
« التنفسى فانه لدى الرجل أقوى منه لدى المرأة فقد ثبت ان الرجل »
« يحرق فى الساعة ١١ جراماً تقريباً من الكربون واما المرأة فلا تحرق »
« منه الا ستة وكسراً ولذلك فحرارة المرأة اقل من حرارة الرجل . اما »
« الحواس الخمس فقد اثبت الاستاذان (نيكولس وبيليه) انها اضعف »
« عند المرأة منها عند الرجل . فهى لا تستطيع ان تدرك رائحة عطر »
« الليمون على بعد مخصوص الا اذا كان ضعف المقدار الذى يدركه الرجل »
« فيه . وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك »
« المخفف الاعلى نسبة ١ / ٢٠٠٠ اما الرجل فيدركها على نسبة ١ / ١٠٠٠٠ . »

« اما حاسة الذوق والسمع فان الرجل ادق من المرأة فيها بكثير ويكفيك »
« دليلاً على ذلك ان اهل الخبرة فى تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق »
» نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء فى دائرة المعارف الكبيرة . أما »
« حاسة اللمس فقد شوهد ان الرجل ادق من المرأة فيها . وقد برهن »
« الاستاذان (لومبروزو وسيرجى) وغيرهما بان المرأة تحتمل الالم اكثر »
« من الرجل مما يدل على قلة احساسها به قال لومبروزو: وهذا من حسن »
« حظ النوع الانسانى فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل »
« والوضع وغيرهما ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله . »

« يرى مما مر كله ان المرأة بضعفها اكثر تعرضاً لمصائب الحياة من »
« الرجل وأشد استهدافا لانواع الامراض منه . قال العلامة (تروسيه) »
« فى دائرة معارفه : « انه بالنسبة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي »
« نرى مزاجها اكثر تهيجاً من مزاج الرجل وتركيبها اقل مقاومة من »
« تركيبة فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب »
« لديها احوالاً مرضية قليلة او كثيرة الخطر: فان الهستريا من امراضها »
« الخاصة وهى عرضة للخوروز والحمى النفاسية والسل والسرطان وجملة »
« عوارض محزنة هى من لوازم جنسها »

« هنا يمكن ان يقول قائل: ان ذلك الضعف التشريحى الذى اثبته »
« نتيجة ضعف الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها . »
« نقول: هب ان ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها ؟ على ان من الثابت »
« علمياً ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم باعمال »

« الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخلقة الى الآن ومع ذلك فان تلك »
« الفروق تشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم. قال الاستاذ (دوفارينى) »
« فى دائرة المعارف الكبيرة ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض »
« متوحشى امريكا) كما يشاهد عند البارزيين » وعليه فلا سبيل للجدل »
« فى هذه القضية »

« أما من جهة أفضلية الرجل على المرأة فى الادراك فما لامشاحة »
« فيه حيث أثبتها البسيكولوجيا (علم النفس) بالتجربة : فقد شوهد »
« أنه يوجد فارق جسيم بين مخى الرجل والمرأة مادة وشكلا. وكل من »
« يعرف ان المخ هو مركز الادراك يعرف تبعاً لذلك ان من كان مخه »
« أرقى كان ادراكه أفضل . أثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة »
« بمقدار ١٠٠ جرام فى المتوسط ولا يعترض علينا بان ذلك الفرق منشؤه »
« حجم الاختلاف بين حجمى الجسمين لانه شوهد أن نسبة مخ الرجل »
« الى جسمه هى كنسبة ١/٤٠ أما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة ١/٤٤ . »
« وفرق بين النسبتين . وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه »
« أقل نظاماً . وهذه المشاهدة يعدها العلماء من اكبر مميزات الجنسين . »
« وكذلك يوجد اختلاف بين المخين فى المادة السنجابية التى هى النقطة »
« المذكورة من المخ : فهى عند النساء أقل منها عند الرجال بدرجة »
« محسوسة جداً . ولكن فى مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس والتهييج »
« عند المرأة أحسن تركيباً منها عند الرجل . قال الاستاذ (دوفارينى) : »
« وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الحيثية النفسية فان الرجل أكثر »

« ذكاء وادراكا وأما المرأة فاكثر انفعالا وتهيجاً .»

« لا شك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان على »
« ان مركز الادراك فى الرجل أرقى منه فى المرأة فيكون هو أفضل منها »
« عقلا . ولا يمكن أن يعترض علينا بان ذلك نتيجة حرمان المرأة من »
« التهذيب طول تلك القرون الخالية وان بمرور الزمن قد ينمو مخها حتى »
« يساوى مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها فى الشعوب العريقة »
« فى الوحشية التى لاحظ لكلا الجنسين فيها من التعلم فلو كان السبب الذى »
« رقى مخ الرجل عن المرأة هو التعلم فلماذا نشاهد تلك الفروق بنفسها »
« عندهما وهما على حالة السذاجة الطبيعية الأولى التى لا يفضل أحدهما »
« الآخر فى مزية عقلية ما. ولكن ليهدأ أنصار المدنية الغربية فقد اثبت »
« القوم انهم كلما ازدادوا تمدنا كلما ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة »
« فقد جاء فى دائرة المعارف الكبيرة ما نصه : « الاختلاف الطبيعي يزداد »
« وضوحا بازدياد التمدن بحيث قد أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء »
« اكبر بكثير من الفرق بين الاسود والسوداء الخ .»

« اذا تقرر هذا كله وثبت لنا بالبراهين المحسوسة ان الرجل افضل »
« من المرأة جسما وعقلا نقول: ان طلب مساواة الجنسين فى سائر الحقوق »
« هو عبث محض والساعى فى تأسيسها كالساعى فى جعل الارض تجذب »
« الجسمين المختلفين فى الوزن بدرجة واحدة وهما مما لا يتصور حصوله »
« ولو حصل لاختل الكون ولاصبح أثراً بعد عين. فليسامحنى حضرات »
« السيدات فى خشونة مقدمتى هذه فان الابحاث العلمية لامحاباة فيها »

« ولتسمحن لى باختتام ما قدمته بانهن سيبقين دائماً تحت سلطة الرجال »
« وسيطرتهم ولا عار عليهن من تحمل تلك السلطة الطبيعية بل يعار عليهن »
« بما أتوا من الذكاء أن يسعين فى نبذها. فذلك جهد يذهب ادراج الرياح »
« ونحن بعد ان ازانا هذه العقبة الكؤود من طريق بحثنا ندخل فى »
« الموضوع على النسق التى توخيناه هنا من استجواب الطبيعة واستفتائها »
« جريا على امر القرآن الكريم والله المستعان . »

﴿ انا كل شىء خلقناه بقدر ﴾

« لكل كائن فى هذا الوجود (كمال) مسير اليه بقوة الارادة »
« الالهية ليتم الابداع الذى قدره الصانع جل وعلا لمجموع هذا الكون »
« البديع . فلكل شخص من أشخاص المواليد الثلاثة من جماد ونبات »
« وحيوان (كمال) خاص به قد تكفلت العناية الالهية بسوقه اليه رغم »
« انفه اما بواسطة النواميس الطبيعية كما فى الجماد والنبات واما بواسطة »
« الالهام الفطرى كما فى الحيوان . اما الانسان وهو ذلك الكائن السامى »
« فقد اقتضت حكمة البارىء عز وجل لغرض قد لا يدركه الا الراسخون »
« فى العلم ان لا يخلقه مطبوعا على عمل خاص وانما يهبه مقابل ذلك قوة »
« ادراكية تصلح لان يتناول سائر ما يتصور من المعلومات الغير متناهية »
« من طرق غير متناهية وبوسائل لا يحصرها حد . »

« ومن يدقق النظر فى اجزاء هذا الكون البديع يرى ان الخالق »
« تقدست اسماؤه قد وهب كلا منها خصائص يباين بها سواه لتسوقه »
« بقواها الكامنة الى اداء عمل خاص يخالف سائر أعمال الاجزاء الاخرى »

« ليتكون من مجموع تلك المتباينات الكونيـة هـذا الوجود الذى تحار »
« العقول والابصار فى جماله وكماله . على اننا لا نستطيع ان ندرك كمال »
« جزء من اجزائه الا اذا علمنـا (ماهية الوظيفـة) التى خلق لاجلها »
« فيكون كماله على قدر احسانه القيام بتلك الوظيفة »

« سبحان الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى » . قضت حكمته »
« تعالى أن يكون شأن الانسان فى كل شئ مبايناً لشؤون سائر الانواع »
« الحية لحكمة لا يفقه كنهها الا هو . فبينما ترى كلا من الكائنات قد »
« سيق رغم انفه الى اداء وظيفته وطبع على التزام حدودها ترى هذا »
« الانسان لم يزل يتساءل (الا من احياه الله بالعلم اليقين) لماذا خلقت »
« ومن اين اتيت والى اين اذهب ؟ ولكن لا نظن ان الخالق العظيم »
« قضى على الانسان بالبقاء ابديا فى هذه الحيرة فلا بد ان يكون قـد »
« أحاط وجوده بعوالم تتقاسم أحواله وأطواره حتى تؤديه ولكن بعد هنا »
« وهنات الى الطريق الاقوم والصراط المستقيم (سأريهم آياتى فلا يستعجلون) »
« ونحن هنا لو أردنا أن ندرك سر تدرج الانسان من البهيمية الى الانسانية »
« الكاملة نجده فى اكتشافاته المتوالية لنواميس الطبيعة وعدم معارضته »
« لسيرها واستخدامه قواها لمنافعة الخاصة حتى يمكننا ان نقول ان »
« نهاية الكمال المدنى الذى سيدركه الانسان يوماً ما (وان يوماً عند »
« ربك كألف سنة مما تعدون) هو اكتشافه لسائر نواميس الكون »
« السائدة على وجوده »

« ولكن يجب علينا هنا ان ننبه بأن الانسان ليس بمفطور على ان »

« يعمل بما يعلم فهو كثير المحاولة شديد المراوغة والتلاعب يلوح له الخيال »
« والحقيقة في امر فيغره الاول بظاهره المموه ورونقه المزخرف فيميل »
« اليه وهو عالم بما يسوقه من النتائج الوخيمة عليه على امل ان يقضي »
« منه وطراً ثم يعود الى الحق عود التائب المنيب وقد يشكل عليه كلا »
« الامرين أحيانا فيختار أكثرهما تأثيراً على هواه ظانا ان فيه دواه . »
« وهو مثار جواه . ومنبعث بلواه . ولكن الطبيعة واقفة بالمرصاد تنزل »
« على العابث بنظام مبدعها عقاب ما اجترحت يداه مصداقا لقول الله (ومن »
« يعمل مثقال ذرة شراً يره) ليفيء الناس الى رشادهم وليتبينوا بتأثير »
« المصائب طريق اسعادهم (لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) »

« كل هذه المقدمة لا تعد شرودا منا عن موضوع البحث فقد »
« اقتضاها المقام كما يلوح لكل متأمل فلندخل الآن الى سر مسئلتنا ولكن »
« بعد أن نرجو القارئ أن يستحضر في فكره كل خرافات المتغاليات من »
« النساء في المطالبة بالمراكز السياسية ومشاركة الرجال في ادارة الشؤون »
« العمومية وفي الاشتغال بسائر الاعمال الصناعية ليطبقه على ما سنتلوه »
« عليه من وظيفتها الطبيعية ليرى ان تلك المطالب يستحيل تحققها اللهم »
« الا اذا تغير شكل جسمهن وزايلتهن لوازم جنسهن فنقول :

ماهي وظيفة المرأة الطبيعية

« للمرأة في الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع »
« البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل ان يشاركها فيه لانه يتعلق بشكل »
« التركيب الجسمي الامر الذى لا يمكن الحصول عليه بالتصنع ولا التقليد . »

« فمن يكون على بينة من علم التشريح يرى أن هذين الكائنين اللذين »
« لا يفترقان فى ظاهرهما الا بفروق صغيرة مختلفان فى تركيبهما الداخلي »
« اختلافاً كلياً مما لاسبيل للمقارنة بينهما . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة »
« لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دورمنهالوازم لاتزايلها يجب الالمام »
« بها لندرك أهمية هذه الوظيفة وخطرها . فهى تستلزم الحمل والوضع »
« والارضاع والتربية . ومن يتأمل فى مقدمةمقالتنا هذهو يتحقق انلكل »
« كائن وظيفة يتوقف (كماله الشخصى) على حسن أدائهاوجب أن »
« يتساءل معنا عن ماهية حدود وظيفة المرأة وعن كيفيةحسن أدائها لها »
« لنعلم تبعاً لهذه البديهة العلمية على أى شئ تتوقف سعادة الجنس اللطيف »
« فنقول :

(ما هي حدود وظيفةالمرأة واختصاصاتها ؟)

« قلنا ان وظيفة المرأة تستلزم أربعة أدوار حمل ووضع وارضاع »
« وتربية . ولكن ماذا يفيد هذا الاجمال بالنسبة لهذه الاحوال الأربع »
« التي وضع العلماء فى شرحهاقديماً وحديثاً ما لا تكفي عدة صحف لسرد »
« أسامیها فضلاً عن التعمق فيها ؟ فمن يبلغ عني تلك المرأة الحامل التي »
« تحشر نفسها فى زمرة المضربين عن العمل بأنها انما تعرض نفسها »
« باستهدافها للوكز والدفع الى أشد الاخطار على حياتها وحياة جنينها !! »
« ومن يبلغ عني تلك المرضع التي تصيح وتنفعل انتصاراً لرأيها السياسى »
« انها بذلك الانفعال النفسي تفسد لبنها فتسقى ولدها منه سما زعافاً ربما »
« قضى على حياته القضاء المبرم !! ومن يبلغ عني تلك الأم المحامية التى »

« تقضي طول نهارها فى المدافعة عن مجرم لتخفف ويلات العقاب عنه »
« ومعظم ليلها فى جمع المستندات وتنقيب شروح الشريعـة انها باهمالها »
« التعمق فى علم التربية تسيء آداب ولدها من حيث تظن انها تحسنها »
« فيشب شريرا عتلا زنيماً ثم لا تستطيع أن تبرئه عند المحاكمة بفنونها »
« الجدلية :: أليست هذه الاشياء كلها تمردا على نواميس الطبيعة وعصياناً »
« لاحكام مكونها ؟ »

« أليست اهمالا من المرأة لشؤون وظيفتها الطبيعية التي يتوقف »
« عليها كمالها وسعادتها واشتغالا بما يضرها هي ومجتمعها لابعاده إياها »
« عن كمالها الذى لا يتم كمال المجتمع الا به؟ »

« يقول قائل : وماذا يضرنا لو أحسنت المرأة عملها الخاص بها ثم »
« التفتت الى عمل غيرها فساعدته فيه ؟ نقول لهذا المعترض لا يفصل »
« هذه القضية بيننا بحكم لا يقبل استئنافاً الا الطبيعة البشرية نفسها فلنوجه »
« اليها هذا السؤال : »

« هل تستطيع المرأة ان تبلغ الكمال فى وظيفتها الخاصة بها مع »
« مشاركتها للرجل فى وظيفته الخارجية ؟ انا لنسمع الطبيعة تصيح بيننا »
« بلسان فصيح قائلة كلا ثم كلا واليك التفصيل : أما فى مدة التسعة »
« أشهر للحمل فلا تستطيع المرأة احسان عمل من الاعمال مطلقا لان »
« جنينها فى تلك المدة يدخل فى أدوار مختلفة ولكل دور منها آثار تبدو »
« عليها وأعراض لا تفترق عن أعراض الامراض فى شيء لانها نتيجة »
« تفاعلات باطنية تؤثر على مجموع البنية تأثيراً يختلف باختلاف طبيعة »

« الجسم نفسه من قوة وضعف . ولهذا الدور من أدوار حياة المرأة »
« شرائط صحية كثيرة اكتشفها الاطباء من تجاربهم العديدة ويجب على »
« الحامل ملاحظتها بالدقة وتطبيقها على سائر أطوار الحمل المختلفة لتخرج »
« منه هى وولدها سالمين والا فتكون قد عرضت نفسها لأخطار قد »
« تذهب بحياتها هى وفلذة كبدها دفعة واحدة »

« يقول الاطباء : ولما كانت مدة الحمل فى الحقيقة حالة مرضية »
« وجب على أهل الحامل أن يعاملوها بمزيد الرعاية مع ابعادهم عنها كل »
« ما يكدر افكارها أو يعارض مزاجها لتأثير كل ذلك على صحتها وصحة »
« جنينها وان يحتملوا ما يبدو منها من حدة الخلق وشدة الانفعال لانها »
« تكون مكرهة على ذلك من جراء الاضطراب العصبي الذى يلازم »
« تلك الحالة »

« أما دور الوضع فهو دور شديد الهول كثير المخاوف تتعرض »
« الحامل فيه لآلام حادة وتقع بعده فى مرض حقيقي وضعف شديد »
« وقد أفرد الاطباء لهذا الدور كتبا ضخمة ملآى بما يجب مراعاته »
« نحو الوالدة من القواعد الصحية التي تكفل نجاتها من الحميات الكثيرة »
« الانواع التي تهددها فى ذلك الحين »

« أما دور الارضاع فهو وان كان أقل خطراً من الدورين السابقين »
« بالنسبة للأم الا انه أشد خطراً بالنسبة للطفل فان له قواعد مخصوصة »
« وقانونا يجب مراعاته تمام المراعاة لان اسراف الام فى اكلة متبلة »
« ربما جرت على طفلها نزلة معدية أوردته حتفه او ربما اكثرت من »

« ارضاعه بغير تدبير فسيبيت لديه تخمة تنكد عليها حياتها وحياة أهل »
« بيتها أجمعين . وليس الامر قاصراً على هذا فان الطفل يحتاج من يوم »
« ولادته الى يوم فطامه لملاحظة شروط جمة بالنسبة لتغذيته وكسوته »
« وتنظيفه لو أهمل منها واحد أثر على المولود تأثيراً سيئاً ولو كان في »
« بلادنا احصائيات كاملة لعلمنا منها ان اكثر الاطفال يموتون من جهل »
« الامهات بشروط التربية الطفلية . »

« أما وظيفة التربية فهي من أقدس الوظائف وأدعاها للعناية »
« والاهتمام . فان الطفل عند مايخرج من ذلك العالم الغيبي تكون مرآة »
« نفسه خالية من جميع الصور مبرأة من جميع النوائب الاخلاقية والمعائب »
« النفسية وقابلة لأن ترتسم فيها كل صورة عرضت اليها على علاتها »
« ولكل من هذه الصور لوازم وآثار تؤثر على وجدان الطفل عند »
« ما يشب وتسوقه رغم أنفه الى الوجهة التي تهيئها له . فما الجبن والشجاعة »
« وما الكرم والبخل وما البشاشة والعبوس الى غير ذلك من الرذائل »
« والفضائل في الانسان الا آثار تلك الصور التي ارتسمت في مخه وهو »
« خالي الذهن من كل شيء . فاذا كان الناس قد اعتادوا أن ينظروا الي »
« من ورث مالا فأساء التصرف فيه بعين الآسف المتلوب فبالاولى »
« يجب عليهم ان ينظروا بتلك العين الى الأم الجاهلة بشرائط تلك التربية »
« بل شتان بين كنز يبذر وبين نفس كريمة تقتل قتلا أدبياً فيشب »
« صاحبها رغم أنفه جانحة على بني جلدته ومصيبة على اخوان ملته »
« أو بالاقل غير نافع لقومه مع انه لو كان ممن اسعده حظه فأحسنت أمه »

« تربية ملكاته وتمية مواهبه لشب وهو واحد من أولئك الأفراد الذين »
« تسعد بهم الأمم وترقى بهممهم الى أوج الجلالة والعظم . فهل يأتى على »
« الناس زمان يدركون فيه هـذه الحقيقة الجليلة فيلقون على الأمهات »
« هذه المسؤولية العظمى ؟ وهل يأتى عليهم حـين يعلمون فيه ان فن »
« تربية الأطفال ليس من الفنون البسيطة التى تتعـلم فى شهر أو شهرين »
« بل تقتضى سـنين طويلة لانها تتناول معظم العلوم النفسية وكيفية »
« تربية المـلكات ومعالجتها بالطرق الحلمية ؟ وهل يأتى عليهم وقت »
« يعرفون فيه ان هذه العلوم لاتساع موادها وتشعب أصولها لاتدع »
« محلا لسواها من العلوم الأخرى الا بما يقيم أود الفكر ويصقل مرآة »
البصيرة ؟

« اذا أتى علينا الزمان المنتظر فهل نقول وقتها بلزوم اشتغال النساء »
« باشغال الرجال وقد أثبتنا من قول علماء العمران فى مقالاتنا السابقة »
« انها تسلخهن من عائلاتهن سلخاً وتقوض دعائم أسرهن تقويضاً ؟ ثم »
« هل نذهب الى ضرورة نبذ الحجاب واختـلاط النساء بالرجال وقد »
« برهنا من أقوال العلماء من العالمين الأوروبى والاميركى على ان لانتيجة »
« لذلك الا التهالك على التزين والتبرج وأقمنا الأدلة من قول نفس المرأة »
« ان ذلك الاختلاط الذى يدعون ان فيه فوائد للنوعين لا أثر له فى ترقية »
« شأن المرأة لانهم يقصرون المقابلات على تبـادل التحايا ذوات المعانى »
« المتنوعة التى كانت تستعمل بعينها فى مدة لويز الخامس عشر ؟ بأى صفة »
« يلزمنا ان نصف المرأة التى تترك فلذة كبدها فى حجر مرضعه أو مربيته »

« الجاهلة لتذهب هى الى اندية السياسة لتلقى الخطب فى تأييد وزارة »
« أو فى تفنيد مطالب حزب من الأحزاب : لاشك يجب علينا ان »
« نصفها بالمجرمة الجانية المتعدية لحدودها ويلزم منعها واستلفاتها بما يمكن »
« من الوسائل الى ذلك المولود الذى ألقته القدرة الالهية الى عهدتها »
« لتقيم أود جسمه وعقله عوضا عن اشتغالها بما لا يتعطل بدونها لانها »
« بخطبها انما تؤدى وظيفة خطيب وكثير ماهم ولكنها باهمالها شأن »
« مولودها ندعه لتربية الصدف وهى لاتكفي مهما كانت حسنة لان تبرز »
« مكنونات الفطرة أو تستخرج عجائب القوى النفسية فيشب كما يجئ »
« لا كما يجب مع انه كان فى مكنة أمه أن تبث فى روحه روح الكمالات »
« والفضائل وتحيط نفسه بسياج من الحكمة تمنعه من مقارفة الرذائل »
« ومداناة المقاذر فيكبر رجلا صالحا يخدم أمته خدما ترفع مجدها الى »
« عنان السماء ويخلد لوالدته الفاضلة اسما بين فواضل هذا النوع الانسانى »
« فيرحمها من فى الارض ويصلى عليها من فى السماء هذه هى (المرأة الكاملة) »
« المربية المحتجبة بحجاب العفاف والصيانة . حجاب الكمال والرزانة التى »
« هى فى لزوم بيتها وعدم تبرجها كالقلب من الجسد محتجب بين الاضلاع »
« لعدم استعداده مثلها لمقاومة المؤثرات الخارجية ولكنه احتجاب لم يمنعه »
« من تأدية وظيفته السامية للبدن كله كما لم يمنع الناس من تقديره حق »
« قدره فهو مستودع الحياة ومنظم حركات سائر الاعضاء . وهو المخصوص »
« بالرعاية والملحوظ بكل العناية »

« يقول : قائل ان كلامك هذا يقرب أن يكون خياليا شعريا ابعد »

« تحققه لاسيما ونحن في زمن لعبت فيه الاهواء بألباب الرجال وصار »
« من الصعب فيه تمييز النقص من الكمال حتى لانجد فيه الا غاراً أوتى »
« حيل الشياطين أو مغروراً دفعه وهمه الى أسفل سافلين . زمن »
« لايطبق فيه العلم على العمل الا في الصناعة فقط وأما مايختص بتهذيب »
« النفس وكبح الاهواء فيقتصر على تدوينه في الاسفار الضخمة ليتلوه »
« من أراد أن يفهم معنى علم الاخلاق فلبست الوحشية والعياذ بالله لباسا »
« من استبرق الصناعة وتحلت من حلى الفنون الجميلة بما يغر البسيط »
« حتى اذا قرب منها أبرزت له أنياب الافاعي ومخالب الاسود الضواري »
« فمزقته أو يهجر ضرتها الانسانية هجرا كليا ويظل أمام هيكلها راكعاً »
« ساجداً يعبد هواه حتى يقضي الله أمرا »

« نقول لهذا القائل : نحن لم نرد أن نبحث في مجلتنا هذه عما اذا كان »
« من الممكن أن أهل المدنية المادية العصرية يوفقون بينها وبين مطالب »
« الانسانية ولكنا أردنا فقط أن نعرف ماهية (المرأة الكاملة) وقد »
« استجوبنا الطبيعة في هذا الشأن فأجابتنا بلسان نواميسها الناطقة بأن »
« كمالها لايتأتى الا اذا عرفت كنه وظيفتها ومبلغ اختصاصاتها وقد أريناك »
« انها اختصاصات خطيرة على ملاحظتها سعادة البشر كما ان على اهمالها »
« شقاءه ولا نظن ان ما اوردناه هنا يقبل جدلا لانا انما استفتينا نواميس »
« الحكمة الالهية فأفتتنا ومن أراد جدالها فقد جادلها كثيرون فكبتهم »
« بعد مابكتتهم ولم يزل يجادلها الناس في كل مكان وهي تقيم عليهم الحجة »
« بعد الحجة قولا وفعلا . أما قولا فبلسان علمائها ممن ذكرنا بعضهم »

« سابقا ولو شئت لاتيناك بهم قبيلا . وأما فعلا فبالفساد الذى ينتشر »
« فيهم كلما لجوا فى جدلها وتمادوا فى محاولتها »

« نحن لا نقول ان المرأة حاصلة على حريتها فى اى امة من الأمم »
« بل هى لم تزل مستعبدة اسيرة بجهلها فى كل بقعة . ولكننا نقول »
« والبراهين بين ايدينا انها اشد عبودية فى البلاد الغربية منها فى »
« البلاد الشرقية لان حريتها ليست فى رفع الحجاب والاذن لها »
« بالخوض فى معترك الحياة وهو ذلك المعترك الهائل الذى لا ينال الفوز »
« فيه الا باقتحام المخاطر . وتكبد مشاق تشق المرائر . معترك يأكل القوى »
« فيه الضعيف وليست القوة والضعف فيه تتعلق بصلابة العضل او بلينه »
« فقط بل بأمور أخرى ايضاً مركزها العقل وحسن التصرف بقوى »
« الفكر . ولو قارنت الرجل والمرأة من هاتين الحيثيتين لحكمت لاول »
« وهلة ان الغالب لن يكون على اى حال الا الرجل دون سواه كما أثبتنا »
« ذلك علمياً . فاى خديعة تخدع بها هذه المرأة الضعيفة اشد من جعلها »
« ترمى (سلاحها الطبيعى) الذى يمكنها ان تنال به مركزها السامى فى »
« هذه الحياة وتتناول سلاحاً آخر لا تحسن استعماله امام مغالبيها مهما »
« استبسلت واستماتت ؟ اذا علمت ان الحياة حرب عوان وتنازع فى »
« البقاء فقل لى اى سلاح يليق ان تخترق به المرأة المسكينة صفوف »
« هذه الهيجاء المستعرة ؟ اتجعل سلاحها العلم ؟ السياسة ؟ التجارة ؟ الصناعة ؟ »
« الزراعة ؟ كل هذه أسلحة يستطيع الرجل ان يغلبها بها ولا سبيل للمكابرة . »
« اذاً هل خلقت المرأة ليطحنها الرجل بكلاكل الغلبة والقهر كما يرى ذلك »

« فى بلاد المدنية حيث تجد أسراباً من ذلك الجنس اللطيف يقضين الليل »
« والنهار فى العمل الشاق بالمعامل لسد رمقهن وكسوة ابدانهن حتى لم »
« يسمح لهن الشغل ان يتزوجن فصرن كما يقول الاستاذ (فريرو) »
« وغيره لا رجالاً ولا نساء بل جنسا ثالثاً من مميزات شحوب الوجه »
« وعبوسه ودوام الاكتئاب والماليخوليا ؟ وهل من آثار حرية المرأة »
« هجرة الشابات والعجائز منهن الى البلاد الشرقيـة بعشرات الالوف »
« ليؤدين وظيفة خادمات عندالشرقيين او حاملات لاطفالهم ؟ اللهم ان »
« كان ذلك التحرير يؤدى المرأة الى هذه الحال التعيسة فما أجدر نساءنا »
« بأن يرفعن أيديهن الى السماء داعين الله ان يسبغ عليهن نعم الاستعباد »
« باكثر مما هن فيه !! »

« كلا لم تخلق المرأة لتستعبدفيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها .ولكن »
« بأي سلاح ؟ بسلاح وهبه الله لها وليس من جنس سـلاحنا وليس »
« فى مكنتنا أن نقابلها بمثله ولكنها بغاية الاسف غافلة عنه ولا تفكر فيه »
« وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطارة وظيفتها وسمو مقام الهبة التى »
« منحتها والعمل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع »
« التجلة والاحترام ومحل الاجـلال والاعظام لانها تعتبر عندئذ مليكة »
« لازمة الاحساسات وسلطانة على منازع الطباع فهى ان شاءت جعلت »
« الحكومة ملوكية وان شاءت قلبتهاجمهورية وانشاءت عملتها اشتراكية »
« وما ذلك الا بتربية الاطفال على حسب أميالها وسوقها الى الغاية التى »
« تمناها فتهابها الحكومات وتخشى سطوتها الملوك فى عروشهم السامقات »

« ويعدونها مزعزعة إن لم ترض عنهم الامهات . وتستطيع وقتها أن »
« تقتاد الرجال بزمام من حديد لتنتقم منه على ما اجترحت يداه فى حقها »
« حيث كان يتركها تعمل بجسمها لتنال بلغة تتلمظ بها هربا من أنياب »
« الموت لولا أن الخالق تقدست صفاته قد احتاط لهذا الأمر فوهبها »
« من رقة الاحساس والشفقة المتناهية والعواطف الرقيقة مايؤهلها »
« لمنزلتها هذه من السيطرة وقيادة الاميال فهى لاتأمر الابخير ولاتبعث »
« الا لمرحمة »

« هذا هو سلاح المرأة الذى لو علمته لسعت اليه سعياً حثيثاً ولزمت »
« بقول كل من يريد أن يلقنها عنه عرض الحائط ولا تهمته بأنه يحسد »
« مستقبلها فيريد أن يوجهها الى ما يزيدها أسرا ويجعل عيشها مرا . هل »
« ترضى المرأة عند ما تعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب : كلا »
« لانها تعلم ان ذلك يسوقها الى محجة التزين والتبرج ويبعثها الى البذخ »
« ومتابعة الاهواء كما أثبتنا لها ذلك مما لاسبيل معه للمكابرة وهو أمر »
« يعطلها بل يصدها عن بلوغ شأوها المنتظر. ثم هل تميل لان تجارى »
« الرجال فى الاشغال : كلا . لان ذلك يسلخها عن عرش ملكها (أسرتها) »
« سلخا فلا تتوصل الى مركزها المستقبل الذى فيه سعادتها وحريتها . اذاً »
« ماذا تعمل : تتعلم كيف تكون أما وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على »
« مطالعة أسرار التربية وعجائبها التى بها يصير الجبان شجاعاً والبخيل »
« كريماً والامبراطورى جمهورياً والاشتراكى ملكياً الخ وتترك التبرج »
« والتباهى بتعلم اللغات الاجنبية ولا تسرف فى الزخارف فان الانهاك »

« على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجاً »
« الى ما فيه عبوديتها ورقها . ولا يغرها ما تراه من انطلاق النساء فى غير »
« قومها ولا تستنتج من تطوافهن مع أزواجهن فى الشوارع انهن أقرب »
« منها الى ذلك المستقبل السامى . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق »
« الى طريق غير طريق سعادتهن وقد أخذ قومهن فى التشكى من »
« حالتهن وقد نقلنا عنهم كل ذلك تفصيلا ومن استزدنا زدناه تطويلا . »
« تلك هي المرأة الكاملة وتلك هي حريتها الحقيقية وذلك هو سلاحها »
« فى معترك هذه الحياة فليتخذ الشرقيات هذا المثال نصب أعينهن »
« وليعملن على التقرب منه شيئاً فشيئاً حتى ينلن سعادتهن وينلننا سعادتنا »
« المرتبطة بهن . والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل . اه »



ذيل

كتب بعضهم — الموسيو ا . م . دى اڤيرينو — فى جريدة الفارد الكسندرى فى عددها الصادر فى ١٥ دسمبر سنة ١٨٩٩ مقالة عنوانها « تحرير المرأة » يقول فيها ان نساء المسيحيين فى البلاد الاسلامية كن يحتجبن احتجاب نساء المسلمين لعهد غير بعيد ثم نبذن ذلك الحجاب وبرزن من خدورهن واختلطن بالرجال وقلدن الفرنجيات فتقدمن تقدما عظيما وافادهن الاختلاط فوائد جمة ما كن يحصلن عليها وهن محتجبات . وانه يصعب عليه ان يرى نساء المسلمين محرومات من هذه المزايا والفوايد ولذلك يدعو الى الحث على رفع حجابهن واختلاطهن بالرجال وتخليصهن من هذا السجن الذى هن فيه وهذه الحياة المرة التى تقاسيها . ويقول انه ليس بعد ما اصبح عليه النساء المسيحيات دليل على نعم الاختلاط وعلى ضرورة الاقتداء بهن وان من يرميهن بغير صفات العفاف والصون والكمال فقد افترى عليهن وكذب والا فلو كان ما يرموهن به صحيحاً ما كنا نشاهد هذا التقدم السريع والعظيم فى البلاد المسيحيه وهى اعظم البلاد منعة وقوة واقتدارا فى هذه العصور باعتراف الجميع . كما أنه لا يعتد بقول من يقول ان لكل دين خلقا ولكل قوم آداباً وطبائع وان هذه العوايد لا تلائم اخلاق المسلمين ولا طباعهم . اذ ماذا يضر المسلمين لو قلدوا الفرنج فى هذا الامر ايضا بعد ان قلدوهم فى كل شئ : فقد قلدوهم فى المأكل والملبس وتعلموا لغاتهم وبنوا بيوتهم على

طرازهم وسبقوهم حتى فى شرب الخمور الذى تحرمه ديانتهم ::

واختتم الكاتب مقالته بقوله انه مهما كانت مزايا الاختلاط ورفع الحجاب عظيمة ويجب تحقيقها للمسلمات فانه يشك فى أن النتيجة تكون حسنة بالنسبة لهن حتى لو اتبع فى ذلك التدرج ما دام الطلاق وتعدد الزوجات على ما هما عليه ولم تضيق دائرتهما ولم يجعلا على طريقة تضمن للمرأة بقاء الزوجية فان المرأة المسيحية يمنعها من الابتذال ارتباطها بزوجها أما المرأة المسلمة فاذا ابيح لها الاختلاط ورفع الحجاب مع بقاء الطلاق وحق التزوج بغيرها فى يد الرجل كما هو الآن لكانت النتيجة اوخم والعاقبة اسوأ والضرر اعظم ولأصبحت المرأة كمتاع تصبح فى يد زيد وتمسى فى حوزة عمرو بدون ان يكون لها بيت حقيقى تنتسب اليه ولا وطن اليه تعزى ويكون مثل من دعى الى تحريرها كمثل من يملك منزلا آيلا للسقوط فلما حاول ترميمه تهدم وبقي صاحبه بلا مأوى ولا ملجأ ولذلك يجب على كل من يريد تحسين حالة المرأة المسلمة وتحريرها أن يسعى اولا فى تضييق دائرة الطلاق لدرجة أن يكون كممنوع ثم تحرير الرجال من نير الجهالة الذى اثقل كاهلهم ورفع الغشارة التي اعمت أبصارهم وبصائرهم . اه

هذا ما جاء فى جريدة الفار . وانا لا نتكاف الرد عليه بغير ما ذكرناه في هذا الكتاب ولا نقول ان عدم الطلاق من مسببات الابتذال ولا أن المرأة لو وجدت نفسها مهددة بالطلاق تعمل جهدها فى ارضاء زوجها فقط نستلفت الانظار الى كتاب حديث وضعه الموسيو « البيرسيم » أحد علماء

فرنسا باسم « النساء المحررات » (Emancipées) ليعلم نصراء تحرير المرأة ماذا انتج هذا التحرير بالبلاد الاروبية وماذا ينتظرها من الاخطار من جراء فشو هذا المذهب بل هذا الداء العضال . وهذا الكتاب وحده كاف للرد على جميع مدعيات نصراء الابتذال ومدحض لكل الحسنات الموهومة التي يتوسمونها أو يتخيلونها فى تحرير المرأة . ومظهر ما هى أمانى المرأة الوهمية ومطالبها الخيالية التى تحاول الوصول اليها باسم التحرير

فلنعتبر ولنتعظ ولا نغتر بما نراه ونسمعه من زخرف القول والكلام اللين ومحاولة الاقناع والتأثير فللقوم غاية لم يبق مجال فى اخفائها أو فى تجاهلها بعد ان تردد صداها فى الخافقين : فقد نقلت مجلة الموسوعات الغراء فى عددها الصادر فى اول شعبان سنة ١٣١٧ ضمن مقالة غراء عنوانها « *نفثة مصدور* » بقلم حضرة مديرها محمود بك ابو النصر كلاماً نشر بمجلة العالمين (revue des deux mondes) الشهيرة ليس لنا بعد أن نقرأه ادنى عذر فى الاغترار بما يقولونه :

قال حضرته بعد كلام طويل :

« ومن قبيل هذه النفثات نفثات أخرى صادفتها فى عدد ١٥ سبتمبر الماضى من مجلة العالمين منشورة فى خلال مقالة ضافية للكاتب الفرنساوى الشهير مسيو إتين لامى عنوانها « فرانسا فى الشرق » وهى احدى رسائله الطنانة فى هذا الموضوع وقد شرح تاريخ نفوذ فرانسا فى البلاد المشرقية وما اعتوره من قوة وضعف وبين مقدار ما يبذله قومه من المساعى العديدة والاموال الباهظة فى سبيل تعليم مسيحى الشرق وغرس محبة فرنسا فى أفئدتهم ليكونوا لها مصانع واحزاباً ثم قال : « ومع ذلك

فبهذه المساعي لم تنتج تمام الغاية المقصودة منها لتباين الطوائف المسيحية فمن الضرروري اذن جمع شتات هذه الفرق حتى لا يعاكس بعضها بعضاً . ومتى صاروا فرقة واحدة تمكنوا من مقاومة المسلمين والاعتلاء عليهم »

« وفى كلامه على المدارس المسيحية التى اتخذوها سبيلا الى غاياتهم المنكرة شط به القلم فاظهر ما تكنه صدور القوم من العداوة والبغضاء لدين الله تعالى ولم يخش هذا الكاتب الفيلسوف الذى طالما تمشدق بكلمة الانسانية والتمدن وحرية الاعتقاد واحترام الاديان ان يجاهر فى أشهر المجلات : مجلة العالمين بأن من الواجب على الأمم المسيحية ان تعاكس الاسلام فى كل طريق وتحارب أهله بكل سلاح ثم أخذ يقدح فكره فى البحث عن أقرب الطرق وانجح الوسائط لنوال بغيتهم السافلة من ديننا ودنيانا جزاء وفاقا على ما وقعنا فيه من الجهل والغفلة والاغترار حتى اهتدى الى ان مقاومة الاسلام بالقوة لا يزيده الا انتشاراً فالواسطة الفعالة لهدم أركان الاسلام وتقويض بنيانه على ما قال هى تربية بنيه فى المدارس المسيحية والقاء بذور الشك فى نفوسهم من عهد النشأة فتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين مذبذبين بين ذلك . قال : « وأمثال هؤلاء يكونون بلا »
« ارتياب أضر على الاسلام وبلاده مما اذا اعتنقوا الديانة المسيحية »
« وتظاهروا بها . »

« ولما انتقل الى تربية بنات المسلمين نفض كل ما فى جرابه فانكشف الستر عن مكنون سره وتصعدت زفراته عن نار تتأجج فى كبده الحراء

وتضطرم فى فؤاده العليل فقال :

« ان طريقة تربية أولاد المسلمين فى المدارس المسيحية وان كان »
« لها من التأثير ما بيناه فان تربيـة البنات فى مدارس الراهبات ادعى »
« لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى نفس الغاية التى وراءها نسعى »
« بل اقول : ان تربية البنات بهذه الكيفية هى التربية الوحيدة للقضاء على »
« الاسلام من يد أهله » وهاك طرفاً من عباراته عسى أن تكون عبرة وذكرى للمسلمين عموماً والقائلين برفع الحجاب واختلاط النساء بالرجل خصوصاً . قال ما ترجمته بالحرف الواحد (صحيفة ٣٢٨)

« ان التربيـة المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد »
« للاسلام فى داخل حصنه المنيع عدوة لداء لا يمكن الرجل قهرها فان »
« الاسلام أسس على اهانة المرأة واذلالها فيكون خروجها من الاستعباد »
« سبب دماره والتربية المسيحية أقوى باعث على خروجها لأن المسلمة »
« التى تربيهـا يد مسيحية تعرف ولا شك درجة اعتبـار المرأة فى »
« المجتمع الانسانى وتكتسب من المعارف ما يبرر اطماعها فى الاستقلال »
« ويقوى آمالها فى الارتقاء فتعرف كيف تتغلب على الرجل حيث تقوى »
« رغبتها فى الاستزادة من المعارف وتطلب علم ما لم تكن تعلـم فتكثر »
« من مطالعة الكتب جدها وهزلها حتى تظهر لها وظيفة المرأة متمثلة »
« فى مرآة التصور فلا تكتفي بأن تكون هى الزوجة المفضلة بل تحتم أن »
« تكون الزوجة الوحيدة وتصبح وحدة الزوجة بتأثير المرأة من الامور »
« الاعتبارية فى الطبقات العالية كما هى الآن لدى أغلب الأتراك بتأثير الفقر . »

« ومتى تغلبت المرأة هكذا تغير نظام العائلة بالمرة وأصبح فى قبضة »
« تصرفها وهنا يظهر تربية الراهبات لانه سهل على المرأة والحالة هذه »
« أن تؤثر على احساس زوجها وعقيدته فتبعده عن الاسلام وتربى أولادها »
« على غير دين أبيهم وكلما قويت مداركها وعرفت بمقدار حقوقها »
« وواجباتها كلما زاد بغضها لدين يهين الأم باهانة الزوجة وفى اليوم الذى »
« تغذى الأم فيه أولادها بلبان هذه التربية وتطلعهم على هذه الافكار »
« تكون المرأة قد تغلبت على الاسلام نفسه »

« تلك هى أقرب الطرق وأنجح الوسائط لمحاربة الاسلام بأهله »
« دون جلبة ولا ضوضاء وهى ولا شك أدعى لنوال المآرب وبلوغ »
« المرام فليس لنا الا اتباعها . أما السعى جهاراً فى محاجة المسلم واقناعه بما »
« هو عليه من الضلال فانه يوقظ عوامل التعصب الكامنة فى نفسه »
« الساكنة بين جوانجه فلا يمكن تذليله وهذا ليس من الحزم فى شئ اه »

هذه نفثات مصدور اكتفى بالاشارة اليها دون تعليق عليها وأرجو أن تكون عبرة للآباء وذكرى للامهات والابناء اه



فهرست

صحيفه